مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

دراسات

ذو الحجة ١٤٤١هـ / أغسطس ٢٠١٩م

ما هي المعرفة المرادُ تقديمها في الصين؟
الزوار العرب والدعاية الصينية الموجهة

كايل حداد فوندا

ما هي المعرفة المرادّ تقديمها في الصين؟

الزوار العرب والدعاية الصينية الموجهة

كايل حداد فوندا

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حداد فوندا، كايل
ما هي المعرفة المراد تقديمها في الصين؟ الزوار العرب والدعاية الصينية الموجهة. / كايل حداد فوندا.- الرياض، ١٤٤١هـ

٤٤ ص، ١٦,٥ x ٢٣سم (دراسات؛ ٤٨)

ردمك: ٤_٢٥_٨٢٦٨_٦٠٣_٩٧٨

١- الصين - الأحوال الاجتماعية ٢- الصين - الأحوال السياسية
أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٣٠٧,٠٩٥١ ١٤٤١/٨٥٦

رقم الإيداع: ١٤٤١/٨٥٦
ردمك: ٤_٢٥_٨٢٦٨_٦٠٣_٩٧٨

تصميم وإخراج
محمد يوسف شريف

إخلاء مسؤولية

تعكس هذه الدراسة ومحتوياتها تحليلات الكاتب وآراءه، ولا ينبغي أن تُنسب وجهات النظر والآراء الواردة فيها إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والكاتب وحده هو المسؤول عما يرد فيها من استنتاجات أو إحصاءات أو أخطاء.

المحتويات

خلاصة	٦
خطُّ السَّير المعتاد في الخمسينيات:	١١
مسارُ الرحلة النموذجيُّ حتى عام ٢٠١٨:	١٩
الرواية الإسلامية الناشئة:	٢٧
ما بعد القمع:	٣٤
هل يمكن أن تُكلَّلَ جهودُ الصين في التواصل مع العربِ بالنجاح؟	٣٩

خلاصة

يتناول هذا المقال تجارب الشخصيات العربية والصحفيين والمجموعات الشبابية والمبعوثين التجاريين الذين زاروا جمهورية الصين الشعبية بصفة رسمية أو شبه رسمية منذ انفتاح الصين لأول مرة على دول الشرق الأوسط في عام ١٩٥٥. فهو يقدّم، أولاً موجزاً عن» برامج الرحلات اليومية» التي أتيحت للوفود العربية التي سبق وأن جالت في الصين في الخمسينيات والمتاحة أيضاً حتى وقتنا الراهن في القرن الحادي والعشرين، ما يتيح لهم الاطلاع على التطورات التي أحدثتها الصين والتي تعكس تغيّر أولويات الدولة الصينية في هذا الصدد. ثانياً، يسلّط هذا المقال الضوء على مدى تحسّن رؤية الحكومة الصينية للإسلام الصيني وإيضاحها للزوار القادمين من الشرق الأوسط، ورغبتها في إدراك موقف بكين المتغير تجاه ممارسة الشعائر الإسلامية. أخيرًا، يؤكد هذا المقال على أن الحكومة الصينية تحاول، وعلى الرغم من التحول الاجتماعي والسياسي الذي مرت به الصين منذ عام ١٩٤٩، أن تقدم لضيوفها رسالة واضحة ومباشرة بشأن وحدة الصين وانسجام مكوناتها.

منذ أن بدأت حُكومة جمهورية الصين الشعبية تَرْعَى جولاتٍ للزُّوّار العرب إليها في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، كان المسلمون المُستمسِكون بدينِهم يُبرِّرون زياراتِهم لبلدٍ مُلْحدٍ مثل الصين بالحديثِ المنسوبِ إلى النبي محمد: «اطْلُبوا العِلْمَ ولو في الصِّين». ورَغْم أن عُلماء الدِّين يُشكِّكون في صِحّة هذا الحديث، فإنه ألهم كثيراً من المُؤمِنينَ استكشافَ مُجْتمَعٍ بعيدٍ وغيرِ مألوفٍ. ولقياس ما للصين من أثرٍ سِياسيٍّ وثقافيٍّ وفِكْريٍّ على العالَم العربيِّ، يَتعيَّن على الباحِثِين في بداية الأمر أنْ يَفْهَموا فَهْماً تامّاً ماذا وجَدَ هؤلاء المسافرون أوَّلَ دخولهم الصِّين؛ أو أنهم ـ بكلماتٍ أخرى ـ يَجِب أنْ يسألوا عن ماهية المعرفة التي يَنْشُدها المسافرون إلى الصِّين.

وإنه لسؤالٌ يَكتسبُ أهميةً إلى أهميتِه إذا ما أنعمنا فيه النظر بعَقْلية (٢٠١٩)، إنَّ الصِّين تخوض غِمارَ حملةٍ قَمْعيةٍ على الحُرِّيات الدينية طالت البلد كُلَّه، وكانت أشدَّ وطأةً على المُسلِمينَ الصِّينيين بخاصةٍ؛ إذ تُشِير التقديرات إلى احتجاز زُهاء المليون من أصول «اليوغور» في مُعسكرات «إعادة التأهيل» في منطقة «شينجيانغ» بشمال غرب الصين[١]. وقد تَعرَّضَ المسلمون الصِّينيون خارجَ «شينجيانغ» أيضاً إلى ضُغوطٍ متزايدةٍ، وخاصةً منذ أن طَفِقت الجمعية الإسلامية الصِّينية التي تُدِيرها الدولة تَشرحُ خُططها عن «إسباغ» الإسلام بالهوية الصِّينية خلالَ المؤتمر الاستشاريِّ السياسيِّ للشعب الصِّيني في (مارس ٢٠١٨)[٢]. وفي بيئةٍ كهذه، يَتعينَّ على قادة الصِّين أن يَبْذُلوا جُهداً جماعيّاً مَدْروساً ليضمنوا ظُهور بَلَدِهم ظُهوراً إيجابيّاً في وَسائلِ الإعلام الدولية، وخاصةً في البلدان الإسلامية التي قد يَعْترِض المشاهدون فيها على سِياسات بِكِّين القَمْعية.

وفي السَّنوات الأخيرة بدأت إستراتيجيات الحُكومة الصِّينية للتلاعُب بمدارك الجَماهير حولَ العالَم تَحْظَى باهتمامٍ واسعٍ من الصَّحفيِّين والأكاديميِّينَ الغَرْبيِّين، فجاؤوا بتحقيقاتٍ كان أشدُّها تفصيلاً يُركِّز على مَواضِيع مثل تَوْسيع شَبَكتي التِّلْفاز والمذياع بالصِّين: «تشاينا غلوبال تي في»، و«تشاينا راديو إنترناشونال»، وشراء الشركات الصِّينية لوَسائِلِ الإعلام الدولية، وانتشار المُلْحقات الصحفية المدفوعة عن الصِّين في

(1) "China: 'Where Are They?': Time for Answers about Mass Detentions in the Xinjiang Uighur Autonomous Region," Amnesty International, 2018.

(2) Julia Bowie and David Gitter, "The CCP's Plan to 'Sinicize' Religions," *Diplomat*, June 14, 2018.

الصحف الأجنبية[٣]؛ حتى أضحى هذا الموضوع الأخير مادةً لحدثٍ دُبلوماسيٍّ رفيعِ المستوى خلالَ الحملة الانتخابية الأمريكية لعام (٢٠١٨)، عندما اشتكى الرئيس دونالد ترامب في جلسة لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة من أن ملحق صحيفة «الصين اليوم» المدفوع في صحيفة «دي موين ريجستر» يُشكِّل تَدخُّلاً أجنبيّاً في العملية الانتخابية[٤]. ومع تَزايُدِ الانتقادات العامة لَعَمليات التأثير التي تُمارِسُها بِكِّين، بدأ المُحلِّلون يَسْبُرون أَغْوار مجموعةٍ واسعةٍ من المبادرات الصينية، بما في ذلك في العالَم غير الغربي.

على أن أَثَر الصِّين الذي طال الصحفيين العرب لم يكن بعدُ مِحْورَ تركيز البحث المنهجيِّ، رغم ما يحمله هذا المشروع من مخاطرَ كبيرةٍ وواضحةٍ. ومما يُواجِه أي باحثٍ في جُهود الدعاية العَرَبية للصِّين من تَحَدِّيات هو الحاجة إلى تحديد موقف الحُكومة الصينية المُتحوِّل تجاه الإسلام. وهنا حريٌّ بنا أنْ نُلْقِيَ نظرةً تاريخيةً واسعةً على تَطوُّر جَوْلات الدعاية الصينية للصحفيين العرب. فلقد استمرت العديد من الإستراتيجيات التي ابتكرتها الحُكومة الصينية وأتقنتها في إقناع الزُّوّار العرب في الخَمْسِينيات في توجيه المسؤولين الصينيين في تَفاعُلهم مع العرب في القرن الحادي والعشرين.

في مُنْتصَف الخَمْسِينيات طَفِقَ قادةُ الصِّين يُشجِّعون مُمثِّلين من جميع أنحاء العالَم لزيارة الصِّين. فقد أَخْبَر رئيس الوزراء الصِّيني ووزير الخارجية «تشو إن لاي» زملاءه من الدول الآسيوية والإفريقية في مؤتمر «باندونغ» في إبريل (١٩٥٥) أن تبادل «الزيارات الودية» من شأنِه أن يُساعِد على «تَعْزيز التَّفاهُم والتعاون المتبادلَيْنِ»[٥]. وهو اقتراحٌ يُشْبِه

(3) Louisa Lim and Julia Bergin, "Inside China's Audacious Global Propaganda Campaign," *Guardian*, December 7, 2018; Anne-Marie Brady, "Magic Weapons: China's Political Influence Activities under Xi Jinping," Wilson Center, September 2017; Koh Gui Qing and John Shiffman, "Beijing's Covert Radio Network Airs China-Friendly News across Washington, and the World," *Reuters*, November 2, 2015; Jack Hazlewood, "China Spends Big on Propaganda in Britain . . . But Returns Are Low," *Hong Kong Free Press*, April 3, 2016; Carolyn Kenney, Max Bergmann, and James Lamond, "Understanding and Combating Russian and Chinese Influence Operations," Center for American Progress, February 2019.

(4) Deirdre Shesgreen and John Fritze, "Trump Accuses China of Meddling in U.S. Midterm Elections, Cites Des Moines Register Advertisement," *Des Moines Register*, September 26, 2018.

(٥) «الخطاب الأساسي لرئيس مجلس الدولة «تشو إن لاي»، رئيس وفد جمهورية الصين الشعبية، الموزع في الجلسة العامة للمؤتمر الآسيوي الإفريقي»، و«الخطاب التكميلي لرئيس مجلس الدولة «تشو إن لاي» في الجلسة العامة للمؤتمر الآسيوي الإفريقي»، في الصين والمؤتمر الآسيوي الإفريقي (الوثائق).(Beijing: Foreign Language Press, 1955) . وأكد «تشو» من جديد في تعليقاته في جلسة مغلقة في باندونغ استعداده لاستضافة الزُّوَّار الأجانب وتوجيه دعوات خاصة لمواطني خمس دول في جنوب شرق آسيا. راجع محاضر اجتماع رؤساء الوفود في المؤتمر الآسيوي الإفريقي، ٢٠-٢٤ إبريل ١٩٥٥ ، ٢٠٧- ٠٠٠٤٨- ٠١، أرشيف وزارة الخارجية الصينية.

الدعوةَ التي قدَّمها «تشو» للدُّبلوماسيِّين والصحفيين الغَرْبيِّين في مؤتمر «جنيف» قبلَ عامٍ واحدٍ، وأثار موجةً من الغضب. ومنذ أواخر عام (١٩٥٤) حتى نهاية العقد، لم تفتأ الصين تَستضِيف وُفود الزُّوار الدَّوْليِّين وفداً تِلْوَ الآخَر، الذين جاؤوا لِيُحققوا في النظام الشيوعي ويُقيِّموه. وكان مِن بين مَنْ سافروا إلى الصين الدبلوماسيون، ووزراءُ الحكومة، والصحفيون، والوفودُ الطُّلابية، والمنظماتُ النِّسائية، ومجموعاتُ المجتمع المدني التي تُمثِّل مجموعةً متنوعةً من الجِنْسيات والمعتقدات السياسية. ووَفْق أحد التقديرات، وَفَدَ (٤٣٥) وفداً زائراً من دول غير شيوعية إلى الصين في عام (١٩٥٦) وحده[٦].

وقد جَذَبت جولاتُ الدعاية الصينية انتباهَ الباحِثِين الغَرْبيِّين لفترةٍ طويلةٍ. وكان هذا الاهتمامُ في أَوَّل الأمر بسبب المخاوف التي أثارتها الحرب الباردة. وبعد فترة وَجِيزة من تَرْحيب «تشو» بالموجة الأولى من الأجانب إلى الصين، بدأ المُحلِّلون الغَرْبيون الذين كانوا قَلِقين من احتمالية «التخريب» الشيوعي في فهرسة وتشريح موجةَ التقارير التي أفاض بها مَن قَبِلوا الدعوة[٧]. ورَغْم أن الباحثين في الولايات المتحدة وأوروبا اضطروا إلى الاعتماد فقط على المنشورات عن الصين باللغة الإنجليزية ولغات أوروبية أخرى، فإنهم لم يَغْفُلوا جُهود الصِّين لجذب المُسافِرين من دول غير غَرْبية[٨]. وفي السَّنوات الأخيرة ساعَدَ البحث التاريخي المتطور حَوْلَ تفاعُلات الصين مع الأجانب، استناداً إلى مصادر الأرشيف الصينية، في الكشف عن استعداد المَسْؤولِين الصِّينيِّين لاستقبال السُّياح[٩]. وبدأ الباحثون كذلك يُعِيدون النظر في تَجارِب الأمريكيين والأوروبيين الذين سافروا

(6) Herbert Passin, *China's Cultural Diplomacy* (London: Praeger, 1962), 2.

(7) Richard Walker, "Guided Tourism in China," *Problems of Communism* 6 (1957); Herbert Passin, *China's Cultural Diplomacy*, chap. 1; *Paul Hollander, Political Pilgrims: Travels of Western Intellectuals to the Soviet Union, China, and Cuba*, 1928–1978 (New York: Oxford University Press, 1981), chaps. 7–8.

(8) Richard Walker, *China under Communism: The First Five Years* (New Haven, CT: Yale University Press, 1955), 243–245; Margaret Fisher and Joan Bondurant, "The Impact of Communist China on Visitors from India," *Far Eastern Quarterly* 15 (1956); William Ratliff, "Chinese Communist Cultural Diplomacy toward Latin America, 1949–1960," *Hispanic American Historical Review* 49 (1969).

(9) Anne-Marie Brady, "'Treat Insiders and Outsiders Differently': The Use and Control of Foreigners in the PRC," *China Quarterly* 164 (2000); Anne-Marie Brady, *Making the Foreign Serve China: Managing Foreigners in the People's Republic* (Lanham, MD: Rowman & Littlefield Publishers, 2003); Julia Lovell, "The Uses of Foreigners in Mao-Era China: Techniques of Hospitality and International Image-Building in the People's Republic, 1949–1976," *Transactions of the Royal Historical Society* 25 (2015).

إلى الصِّين، مع التركيز على الموضوعات ذات الأهمية الخاصة للقُرّاء الغَرْبيِّين، مثل وُفود حِزْب العمل البريطاني أو اليساريين الأمريكيين من أصل إفريقي[١٠]. ومن المهِم للمؤرخين أَنْ يَستفيدوا من هذا الاتجاه بأن يُقيِّموا من جديدٍ كيفيةَ تفاعُل المسؤولين الصينيين في الحِقْبة نفسها مع أفراد من دول غير غَرْبية ممن سافروا إلى الصين.

واليوم باتت أهمية جَوْلات الدعاية الصِّينية واضحةً وُضوحَ الشمس، فمع تَعاظُم ما تَتمتَّع به الصين من قُدْرة في العَلاقات الدُّبلوماسية العامة، باتت في كَثيرٍ من الأحيان قادرةً على التأثير على الجماهير في الخارج تأثيراً مباشراً من خِلال مؤسساتها الخاصة، التي لها مَوْطِئ قَدَمٍ في جميع أنحاء العالَم. ومع ذلك ينبغي ألّا تبتعد مبادرات الصين في الخارج عن حقيقة أن بكين تُواصِل ترتيب جولاتٍ للوفود الرسمية أو شِبْه الرسمية، كما فَعَلت في الخمسينيات. وبعيداً عن كونِها من مُخلَّفات الحرب الباردة، تَظَلُّ هذه الجولات عُنصراً مُهِمّاً في الدُّبلوماسية الثقافية للصِّين.

ويَتناوَل هذا التقرير جَوْلات الدعاية الصِّينية من مَنْظور تاريخيٍّ، مُقارِناً الجهود الأولى في خمسينيات القرن العشرين بالجهود المبذولة في القرن الحادي والعشرين ـ قبل وبعدَ القَمْع الأخير للإسلام الصِّيني ـ ويُسلِّط التقرير الضوءَ على الوسائل التي تُشْرِكُ بها الدولة الصينية سُكّانها المسلمين بصفتِهم أداةً ترويجيةً، وعلى التساؤلات عما إذا كانت هذه الممارسة يُمْكِن أن تستمر في بيئةٍ سياسيةٍ مشحونةٍ كهذه.

والهدف الأول من هذا التقرير: هو استخلاص مجموعةٍ انتقائيةٍ من المَنْشورات حولَ الصِّين، كَتَبها المسافرون العرب في خَمْسينيات القرن الماضي والعقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، لاستعراض ما بَذَلته الصِّين من جُهودٍ لتنظيم جولاتٍ دِعاية في هاتين الحِقْبتين على نحوٍ مقارن. ثانياً: يُوضِّح هذا التقرير كيف صقلت الحكومة الصينية رسائلَها عن الإسلام منذ الخمسينيات؛ فبينما كانتِ الصِّين حَرِيصةً في السابق

(10) Patrick Wright, *Passport to Peking: A Very British Mission to Mao's China* (Oxford: Oxford University Press, 2010); Tom Buchanan, *East Wind: China and the British Left, 1925–1976* (Oxford: Oxford University Press, 2012), chap. 5; Matthew Johnson, "From Peace to the Panthers: PRC Engagement with African-American Transnational Networks, 1949–1979," *Past and Present* 218 (2013); Robeson Taj Frazier, *The East Is Black: Cold War China in the Black Radical Imagination* (Durham, NC: Duke University Press, 2015).

على تَمْيِيز المسلمين من مختلف الأعراق من جميع أنحاء البلاد، أصبحت الآن أكثرَ نشاطاً في تقديم رؤيةٍ محددةٍ ومرسومةٍ بعنايةٍ للإسلام الصيني. ثالثاً: يَتقَفَّى هذا التقرير كيف استخدم المَسْؤولون الصِّينيون الزيارات الأجنبية لتقديم رُؤيةٍ ثابتةٍ عن الصِّين بوصفه مجتمعاً موحداً. وأخيراً، يُقيِّم التقرير فعالية جولات الدعاية بتَوْضيحِ الكيفية التي تُساعِد بها هذه الزيارات على تَأْطير المصطلحات في القالب الذي تُحِبُّ الصين أن تَظْهَر به في الصحافة العربية.

خطُّ السَّير المعتاد في الخمسينيات:

إنَّ أول منْ وَطِئت أقدامُهم أرض الصين الشُّيوعية من الأجانب في الخَمْسينيات رَأَوْا نِظاماً مجهزاً للتَّحَكُّم في كلِّ ما يَرَونه أو يَسْمَعونه أو يَصْنَعونه داخلَ البلاد. وكانت خِدْمة السُّياح ضِمْن مسؤولية «وكالة السفر الصينية الدولية»، وهي ذِراع لنظام الدولة مُكلَّفٌ بالدعاية عن الصِّين أمامَ ضُيوفِها. وكان الزُّوار مِن جَمِيع أنحاء العالَم يُقيمُون في بيوتٍ خاصّةٍ بعيدةٍ عن الجمهور العام. وكانوا يَعتمِدون على مَنْ تُوفِّرهم الحكومة من مُترجِمين لا يَأْلُون جُهْداً؛ لكيلا يرى الزُّوار إلا ما يُرِيدونه لهم. وذات يومٍ، ضاق أحدُ الصَّحَفيِّين السويسريين ذَرْعاً بالقيود التي كانت تُكبِّله في صيف (١٩٥٦)، وقال: إن «وكالة السفر الصينية الدولية ستحكم مخالبها على أي [زائر]، وتُوجِّه كل أفعاله، إلا إذا استجمع قواه وتملَّص فارّاً من هذه القيود». وخلص إلى أن «وكالة السفر الصينية الدولية تعمل بكفاءة سَلِسة ما دام الزائر قد التزم السير على الطريق المرسوم، وتنقلب الدنيا فيها بمجرد أن يخطو خطوةً واحدةً عن المسار السياحي»[١١]. وهذا التَّزمُّت هو الذي كان يَضْمَن الالتزام بحرفية الزيارة. فكان اصطحاب جميع الزُّوار إلى القُرى نفسها طريقة واحدة لضمان عدم ترك أي جانبٍ من جوانب أي جولة للصُّدفة. ولم يَكُن من النادر بالنسبة للأجانب الذين طلبوا زيارة الريف أن يكتشفوا، على حد تعبير الصحفي البريطاني، «مكاناً في غاية النظافة والنظام قد مَهَّدَت أرضَه خُطَى أقدامِ الوفود الذين لا حَصْر لهم ممن سبقوهم إليه»[١٢].

(11) Peter Schmid, "Report from Red China I—The Sparrows' Fall," *Reporter*, July 12, 1956, 27–29.
(12) James Cameron, *Mandarin Red* (New York: Rinehart & Company, 1955), 113.

ومن القِيادة العُليا جاءت الأوامر بألا يُدَّخَر جهدٌ لضمان استمتاع الأجانب كافةً بتجربةٍ إيجابيةٍ في الصين. وقد لاحَظَ أحدُ الباحِثِينَ في أثناءِ تَفَحُّصه المحفوظات الصينية أن «الوثائق كانت تُخَطِّط لأدق التفاصيل اليومية»؛ إذ كلُّ شيء بدءاً من صياغة الدعوات إلى الاستعدادات للولائم كان يَحْمِل توضيحاتٍ شخصية من شخصيات مبرزة في الحزب الشيوعي الصيني مثل «تشو»، و«وليو شاوتشي»[١٣]. وكان قادةُ الصِّين مُهتمِّين اهتماماً شديداً بالتأكُّد من اضطلاع أتباعهم بواجباتهم بفعالية، حتى إنهم أَجْبروا جميعَ الكوادر الذين سَيتفاعلون مع الأجانب على حضور «اجتماعات التقارير» للتعرُّف على الاتجاهات السياسية ودراسة مُلخَّصات الزيارات التي كانت ناجحةً من قَبْلُ[١٤]. وفي بعض الحالات، عَمَدت الحُكومة الصِّينية إلى تَوسيعِ الإدارة الصغيرة لتشمل الأطفال الصغار. وقد استذكر أحدُ الهارِبِينَ موقفاً تحايلَ فيه مسؤولو الحِزْب الشيوعي الصيني لإقناع زَوْجات الشخصيات الإفريقية؛ حين طَلَبوا من امرأة أنْ تُعطِيَ ابنتها البالغة من العمر ثلاث سنوات دُميةً ملونةً باللون الأسود من أجل تَعويدِها على الأشخاص ذَوِي البَشْرة الداكنة، ثُمَّ حَدَّدوا بالضبط كيف ينبغي للمرأة وعائلتها أنْ تُدَرِّب الفتاة على استقبال الزائرين، ثم كافؤوها بالشوكولاتة[١٥].

وكانت الاستعداداتُ لاستقبال الزُّوّار العرب تَقْتضِي اهتماماً خاصّاً كذلك؛ إذ كان من الضروري التأكُّد من أن المُواطِنِين الصِّينيِّين العاديين لن يَقترِفوا شيئاً يُحْرِج الضيوف ذَوِي الخَلْفية الثقافية المختلفة. ونُكرِّر مرةً أخرى أنَّ الطبقة العُليا من النِّظام الحاكم بالدولة كانت تُؤدِّي دَوْراً مباشراً في الترتيبات. فعلى سبيل المثال، وَضَعت وَزارة الثقافة في بِكِّين قواعدَ أساسيةً صارمةً لجميع كوادر الأحزاب المحلية الذين قد يَتَّصِلون بوزير الأوقاف المصري أحمد حسن الباقوري في مايو (١٩٥٥): لا تشربوا الخَمْرَ أو تأكلوا لحمَ الخِنْزير على مَرْأى منه، ولا تحجزوا له إلا الغرف الفندقية المزودة بحوضٍ للاستحمام ليغسل قَدَميه قبل الصلاة، ولا تسمحوا للنسوة أنْ تَستقبِلَه[١٦].

وحِين نَعْلَم أن جميع تفاصيل الجولات الأجنبية قد خُطَّت بعنايةٍ فائقةٍ ، لن يكون أمامَنا إلا أن نَستنتِجَ ونَتخَيَّل القوالب التي وُضِعَ فيها زُوّارُ الصِّين، وكيف أن ذلك

(13) Lovell, "The Uses of Foreigners in Mao-Era China," 145.
(14) Brady, Making the Foreign Serve China, 92.
(15) Robert Loh and Humphrey Evans, *Escape from Red China* (New York: Coward-McCann, 1962), 160.
(16) Ministry of Culture to the Foreign Ministry, May 8, 1955, 107-00072-02, CFMA.

كان يُعبِّر بوضوح عن السياسات الحكومية المتبعة آنذاك. في عام (١٩٥٧)، اعتمد عالِم السياسة الأمريكي «ريتشارد ووكر» على هذا المنطق وأسماه «خط السير المعتاد» لزُوّار الصين. فقد كانت الرِّحْلة النموذجية، كما رآها «ووكر»، تستمر بين (٢٠) يوماً وشهرين. وكان مُعْظَم المسافِرين يدخُلون البلاد عَبْر هونغ كونغ، ثم يُسافِرون بالقطار إلى بِكِّين. ومن هناك كانت كثيرٌ من الزيارات تَضُم جولاتٍ إلى المصانع في إقليم منشوريا. وكانت الوِجْهات الشائعة الأخرى هي «شيان» و«لانتشو» و«تشونغتشينغ». وكان بعضُ المُسافِرينَ يَجْتازون إقليم «لانتشو» إلى مصفاة النِّفْط في مدينة «يومن» بمقاطعة «قانسو» شمال غرب البلاد. وأخيراً كان معظم المسافرين يَتوقَّفون في «شنغهاي» قبل العودة إلى «هونغ كونغ». وأشار «ووكر» إلى أن كثيراً من الوفود كانت تَتلقَّى دعواتٍ للمجيء إلى الصين خلال أيام العطلات الكبرى ـ لا سِيَّما عيد العمال، ويوم الجيش الأحمر، والاحتفالات باليوم الوطني ـ حتى يَتمكَّنوا من مُشاهَدة العُروض العَسْكرية البارعة. وقد ذَكَر أيضاً غير ذلك من الأماكن النموذجية المعهودة بالزيارة كالقرى، والسجون، والمصانع، والمزارع الجماعية التي لطالما كانت محطاتٍ متكررةً للجولات الرسمية[١٧]. وفي كلٍّ من هذه المواقع، كان الزائرون يَستمِعون إلى محاضراتٍ قد أعدَّها المسؤولون الشيعيون سَلَفاً عن الانتصارات المفترضة للصِّين منذ عام (١٩٤٩). وبصفته محارباً بارداً مُتمرِّساً، وله إسهامُه في حملات وكالة معلومات الولايات المتحدة، فقد غَضِب «ووكر» غَضَباً شديداً من الزائرين الذين رَدَّدوا كالببغاوات إحصاءات الإنتاجية الرسمية من هذه المحاضرات بعد عودتهم من الصين[١٨]. لقد كانت إِحْدى عواقب البِيرُوقراطية السياحية الصينية ـ على حدِّ تعبير «ووكر» ـ أن كلَّ زائر «مُقيَّد للغاية في مدة رحلته ونطاقها، لدرجة أنه يلتجئ إلى الاعتماد على أرقام النظام حين يكتب تقريره الشامل لبلده حال أَوْبتِه إليها»[١٩].

على أن فِكْرة «ووكر» المفيدة عن مسار الرحلة المعتاد يَحْتاج إلى تَعديلٍ طفيفٍ في حالة تطبيقها على الزُّوار العرب والمسلمين إلى الصِّين خلال الخمسينيات. أولاً: قَلَّل «ووكر» كثيراً من نسبة الأجانب الذين سافروا إلى الصين عن طريق الاتحاد السوفييتي؛

(17) Walker, "Guided Tourism in China," 32–33.
(18) Walker, *China under Communism*, 244–245.
(19) Walker, "Guided Tourism in China," 35.

إذ أورد «ووكر» في سِجِلّاته أن كثيراً من الغَرْبيِّين والآسيويين الجنوبيين كانوا في الواقع قد دَخَلوا الصِّين عَبْر «هونغ كونغ» و«قوانغتشو»، في حين سافَرَ كثيرٌ من الزُّوار من أنحاء أخرى من العالَم عبر «موسكو» و«إيكاترينبرغ» على مَتْن الطائرات السوفييتية. وقبل الانقسام الصيني السوفييتي في أوائل الستينيات، استفادت الصين من الشبكات السوفييتية التي كانت تَرْعَى جولات الكتلة الشيوعية[٢٠]. وقد كانت الحُكومة السوفييتية تَرْعى مجموعةً منوعةً من المنظمات اليسارية، مثل «الاتحاد الدولي للطلاب» و«الاتحاد العالمي للشباب الديمقراطي»، وهي جهودٌ كانت تَسْعَى بوضوح إلى اجتذاب مُشارِكِين من الشرق الأوسط وإفريقيا؛ الأمر الذي شَجَّع بعض العرب الذين أتوا إلى الصِّين في الخمسينيات من القرن الماضي على الاضطلاع بهذا الدور برعاية هذه المنظمات[٢١]. أضف إلى ذلك أنه عندما بدأ ممثلون جزائريون يَزُورون الصين عَقِب إنشاء حكومة جزائرية مؤقتة في عام (١٩٥٨)، فإنَّهم كانوا يَتوقَّفون دوماً في موسكو قبل مغامرتهم في الصين. وكان كثيرٌ من الجزائريين يُواصِلون جولتَهم داخلَ الكتلة الشيوعية بالسفر إلى «هانوي»، حيث كانوا حَرِيصِينَ على مناقشة تَجرِبتِهم المشتركة في مُكافحة الاستعمار الفرنسي مع المسؤولين الفيتناميين الشماليين[٢٢]. وكانت الصِّين وغيرها من الدول الشيوعية أمامَ العرب الذين كانت لهم حُرية اختيار الرمز المحدد الذي يَصِفون به كل دولة. فبدلاً من تصوير الصين على أنها رمز للحركة الشيوعية العالمية، كانوا يَمِيلون إلى مقارنتها ومضاهاتها بالاتحاد السوفييتي وفيتنام الشمالية، مُستخلِصِينَ دروساً مختلفةً من كل تجربة.

---

(20) Brady, Making the Foreign Serve China, 94.

من المرجح أن يختار الشيوعيون العرب، مثل عضو الحزب الشيوعي اللبناني جورج حنا، السفر إلى الصين عن طريق الاتحاد السوفيتي. انظر:

George Hanna, Kuntu fi saybiriya wa-l-sin [I was in Siberia and China] (Beirut: Dar al-'ilm li-l-malayin, 1957).

(٢١) للاطلاع على مثالٍ لطالب سوداني دخل الصين من الاتحاد السوفيتي ضمن وفد «الاتحاد العالمي للشباب الديمقراطي»، ثمَّ نَشَرَ مذكراتٍ حول هذه التجربة، انظر: (عبد الله عبيد، سوداني في الصين الشعبية، القاهرة: دار الفكر، ١٩٥٦).

وللاطلاع على مثالٍ لطالب لبناني سافر من موسكو إلى الصين بالقطار ضمن وفدٍ شبابيٍّ مع منظمةٍ غير محددة، انظر: (عبد السلام الأدهمي، الصين الجديدة في ظل الاشتراكية، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٤.(

(٢٢) للاطلاع على معلومات أساسية عن العلاقات بين الحركات المناهضة للإمبريالية في الجزائر وفيتنام الشمالية، راجع:
Robert Malley, The Call from Algeria: Third Worldism, Revolution, and the Turn to Islam (Berkeley, CA: University of California Press, 1996), chap. 2.

وللاطلاع على مثالٍ لمذكرات جزائريٍّ سافر إلى الاتحاد السوفييتي والصين وفيتنام الشمالية على التوالي، راجع:
Si Azzedine (Rabah Zerari), On nous appelait fellaghas [We were called Fellaghas] (Paris: Éditions Stock, 1976).

وكان التحرك الثاني الرئيس للزوار العرب في خَطِّ سِير الرحلة المعتاد على نَحْوِ ما حَدَّده «ووكر»، يخصُّ أيَّ المدن الصينية كانت جزءاً من الجدول الزمني؛ فإضافةً إلى الوِجْهات الرئيسة التي أوردها «ووكر»، كانت بعض الوفود العربية تقضي كذلك بضعة أيام في «أورومتشي»، فبصفتها عاصمة لشينجيانغ، كانت «أورومتشي» تتيح المسؤولين الصينيين الفرصة لإظهار حقيقة أن الصين كانت مَوْطناً لعددٍ كبيرٍ من السكان المسلمين. وفي مايو (١٩٥٥)، أمضى الباقوري عُطلةَ عيد الفطر في حفلٍ أقيم طوال الليل في «أورومتشي». واستضاف هذا الحدثَ برهانٌ شاهيدي الذي يرجع أصله إلى التتار، وشغل كثيراً من المناصب القيادية للحزب الشيوعي الصيني في شينجيانغ، وعمل رئيساً للجمعية الإسلامية الصينية[٢٣]. وبعد عامٍ واحدٍ، كانت وفودٌ من المسلمين من باكستان والسودان يستمتعون بالحفل نفسه الذي استضافه هذه المرةَ رئيسُ منطقة شينجيانغ الأويغورية الجديدة ذاتية الحكم، سيف الدين عزيزي[٢٤]. لقد أظهرت إستراتيجيةُ الحكومةِ الصينيةِ في جلب المسلمين للاحتفال بعيد الفطر في «أورومتشي»، أن هذا ليس سِوى امتدادٍ واضحٍ لسياستها في جلب الأجانب إلى بِكِّين لحضور عروض العيد الوطني العسكرية، وأنه من اليَسِير أن تُوظَّفَ الأعياد الدينية لخدمة حاجات الدولة.

ولعل أبرز الإضافات إلى خَطِّ سير الرحلة المعتاد للزوار العرب هي المساجد وغيرها من المواقع ذات الأهمية الدينية. فكان المسؤولون الصينيون يَعْمِدون إلى اصطحاب العرب إلى المساجد المهمة في كثيرٍ من المدن، مثل مسجد شارع أوكسين في بِكِّين، والمسجد الكبير في شيان. ولأن كثيراً من الزُّوّار كانوا يَمُرُّون في «قوانغتشو»، فإن مسجد «هوايشينغ» في تلك المدينة كان وِجْهةً مشتركةً أخرى. وكان المسلمون الصينيون يَرْوُون لضيوفهم بحَماسٍ أُسطورةَ أنَّ المسجدَ بناه سعدُ بنُ أبي وَقّاصٍ خال النبي محمد. لكنها روايةٌ لا أصلَ لها من الصحة، رغم أنها مفيدةٌ في ربطها الواضح بين تُراث مجتمع

---

(٢٣) أحمد حسن الباقوري، بقايا ذكريات، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام،١٩٨٨)، ١٧٥.

(24) Abu Saeed Enver, "A Pakistani in Sinkiang," China Reconstructs, August 1956, 21.

وزار كذلك عدد قليل من غير المسلمين شينجيانغ في نفس الحقبة، ومنهم المصور النيوزيلندي توم هتشينز، والصحفي البريطاني ديفيد شيب، مراسل رويترز في بكين. في عام ١٩٥٦، سافر هتشينز وشيب معاً إلى أورومتشي وهامي، والأخيرة مدينة أصغر كان السكان اليوغور فيها هم الأكثرية. انظر:

Tom Hutchins, "Red China on the March," Life, January 21, 1956, 107–115; John Turner, "Tom Hutchins: Urumchi, Sinkiang 1956," http://jbt.photoshelter.com/portfolio/G0000UnJRhrE99q0.

هوي في الصين وبين العرب الذين كان يُرتجَى إقناعهم بالقصة[٢٥]. وكانت الحكومة الصِّينية تُرْسِل على نحوٍ دوريٍّ كبارَ مَسْؤولي الحزب الشيوعي الصِّيني ليترأسوا الزيارات إلى المساجد، كما حَدَث عندما رَحَّب الشاهدي بنفسه بالأعضاء المسلمين في مجموعة «الاتحاد العالمي للشباب الديمقراطي» في أحد مساجد بِكِّين في منتصف الخمسينيات[٢٦]. لقد كان رجالُ الدولةِ المهمون يحضرون فعاليات قليلة الأهمية مثل هذا الحَدَث لإقناع الزائرين وللإشراف على هؤلاء المُسلِمين القلائل الذين وُكِّلَ إليهم أمرُ التحدُّث إلى الأجانب. فعلى سبيل المثال، عندما طرح أحدُ الصَّحَفيين المصريين سؤالاً عن الماركسية اللينينية أثناء زيارة أحد المساجد، اضطر رئيسُ المكتب الوطني للشؤون الدينية إلى التدخُّل في المحادثة لتصحيح ردود مُسلمٍ صينيٍّ كان قد انحرف عن الخط الرسمي[٢٧]. فقد كانت الحكومة الصِّينية ملتزمةً التزاماً شديداً بفكرة أنه ينبغي أنْ يَزُور العربُ المؤسسات الإسلامية، حتى إنَّها كانت تُخاطِر في سبيل ذلك باحتمالية الوقوع في مواقف حرجة؛ ففي مارس (١٩٥٨)، على سبيل المثال، رَتَّبت الحكومةُ وَفْداً يَتكوَّن من مُتشددٍ جزائريٍّ وسياسيٍّ سوريٍّ لمخاطبة المسلمين المَحَليِّين في مدرسة قرآنية، رغم أن الرجل الأخير كان مَسيحيّاً[٢٨].

وغير المساجد كان العربُ يَزُورون كذلك المَصانع والقُرَى النموذجية والمزارع الجماعية؛ فكانت كلُّ هذه المواقع وِجْهاتٍ شائعةً للزُّوّار من كلِّ جنسية، ولكن ما مَيَّزَ مسارات السفر المحدَّدة للعرب هو تأكيدُ قادة الجولات على مقابلة المسلمين الصِّينيين في كلِّ مكان. وكان هَدَفهم هو إثبات أن المُسلِمين لا ينعمون فحسب بالتسامح في ظل النظام الشيوعي، بل إنَّهم ينعمون بالفعل اقتصاديّاً وتعليميّاً بجهود التحديث التي بذلتها الحكومة. فعلى سبيل المثال، رتَّب المسؤولون الصينيون للباقوري للتحدث مع عاملِ مصنعٍ مسلمٍ، الذي أكَّد له ما تنعم به جاليته من رخاءٍ متنامٍ منذ عام (١٩٤٩)[٢٩]،

---

(٢٥) أحمد حسن الباقوري، بقايا ذكريات، ١٧٥، ١٧٧– ١٧٨. لاحظ أن الباقوري وصف مسجد هوايشينغ بالتفصيل، ولكنه أورد مكانه في بكين خطأً.

(٢٦) عبيد، سوداني في الصين الشعبية، ٨٩.

(٢٧) علي حمدي الجمل، العملاق الأصفر (القاهرة: المكتبة العلمية، ١٩٥٦)، ٧٣.

(28) "Zhongguo yisilanjiao jingxueyuan he huimin xueyuan jihui huanying bulaxin jiafa he adefu dani'er" [A gathering of the China Islamic Institute and the Hui People's School welcomes Brahim Ghafa and Atif Daniyal]," *Renmin ribao*, 1 April 1958, 4.

(٢٩) نسخة من محادثات أحمد حسن الباقوري، ٢٥ مايو ١٩٥٥، ١٠٧–٠٠٠٧–٠٤، أرشيف وزارة الخارجية الصينية.

ولإثبات التحصيل العِلْمي لسُكّانِهم المسلمين، كان على المسؤولين الصينيين أنْ يأتوا بجَديدٍ يخرجوا به عن ممارستهم المألوفة، فكانوا يَسْمَحون للمُسلِمين الصينيين أنْ يُخاطِبوا الزُّوّار باللغة العربية؛ رغم أنه لم يَكُن يُسمح للمواطنين الصينيين الذين يُتْقِنون اللغات الأجنبية أنْ يَتكلَّموا بهذه اللغات في محادثاتٍ رسميةٍ مع الزُّوّار؛ إذ كانت اللوائح الحكومية تَشترِط وُجود مُترجِمٍ شفويٍّ معتمدٍ لكل محادثة[٣٠]؛ فحتى «تشو» الذي يَتحدَّث الإنجليزية والفرنسية بطلاقة، كان عليه أن يَتَّصِل بمترجمٍ كلما طَرَح عليه صحفيٌّ أجنبيٌّ سؤالاً مباشراً[٣١]. لكن الأمرَ كان يُؤخَذُ بأريحيةٍ مع اللغة العربية؛ إذ عُهِدَ أنْ يَتحدَّث المسلمون الصينيون المعتمدون باللغة العربية مع الزُّوّار العرب، فكان الصحفيون الذين أتوا إلى الصين يَهَشُّون لذلك ويندهشون منه كثيراً[٣٢].

وبطبيعة الحال مع الزُّوار من جميع أنحاء العالَم، كان المسؤولون الصينيون حَرِيصين كذلك على إشراك العرب في التَّجمُّعات والمسيرات السياسية، ففي عصر الماوي أثناء التعبئة الجماهيرية، شاع أنْ يُحدِّدَ المسؤولون مواعيدَ الزيارات المهمة لتتزامن مع الأحداث السياسية المُخَطَّط لها. ومن أمثلة ذلك أنه لّما زار عُمر أوسيدك، رئيس الوفد العسكري الذي أرسلته جبهة التحرير الوطنية الجزائرية، بِكِّين في مارس وإبريل عام (١٩٥٩)، رَتَّب له القائمون على الفعالية أن يخاطبَ حَشْداً من زهاء (١٥٠٠) شخص، رَدَّدوا شعاراتٍ حول استقلال الجزائر، كانت وزارة الخارجية قد وافقت عليها سلفاً[٣٣]. وقد عمد المسؤولون الصينيون كذلك إلى دعوة شخصيات عربية مُبَّرزة لزيارة احتفالاتهم باليوم الوطني السنوي في الأول من أكتوبر. ودُعِي بعض الحضور، مثل الشيوعي السوري المنفي خالد بكداش، الذي حضر عام (١٩٥٩)، إلى مخاطبة الحشود الكبيرة قبل العرض[٣٤]. وقد شُجِّعَ آخرون، بمَن فيهم الصحفيون العرب في جولاتٍ

(30) Brady, *Making the Foreign Serve China*, 93.

(31) David Chipp, "The Day I Stepped on Mao's Toes," in *Frontlines: Snapshots of History*, ed. Nicholas Moore and Sidney Weiland (London: Pearson Education, 2001), 66.

(٣٢) إسماعيل الحبروك، «إسماعيل الحبروك يكتب من الصين الشعبية»، روز اليوسف ١٤٤٠ (١٦ يناير ١٩٥٦)، ١٠-١١.

(33) "Juxing aerjiliya zhou juti taohua" [Concrete plan for implementing Support Algeria Week], 29 March 29, 1959, 107-00360-05, CFMA.

(34) Alaba Ogunsanwo, China's Policy in Africa, 1958–71 (Cambridge: Cambridge University Press, 1974), 25–26؛

منعم ناصر الدين، العلاقات العربية الصينية، ١٩٥٠-١٩٧١: بتركيز خاص على العلاقات المصرية الصينية (بيروت: المعهد العربي للبحوث والنشر، ١٩٧٢)، ٢٢٦.

ترعاها الحكومة، على حُضور العرض العسكري الرئيس، الذي كان يُعَدُّ كلَّ عام لإبهار المراقبين بقوة القوات الصينية ودقتها[٣٥]. واعتاد مُنَظِّمو العرض أن يُوقِفوا الزُّوّار الأجانب من جميع الخلفيات (ومنهم الأوروبيون والأمريكيون) على منصة المراجعة قرب مجموعات الأقليات الصينية، مما يُؤكِّد على الأهمية التي توليها حكومة الصين لرئاسة مجتمع متعدد الأعراق[٣٦].

ومن بين الأساليبِ الدعائية الفعالة الأخرى التي استخدمها المسؤولون الصينيُّون في الخمسينياتِ كانت تعريفَ زائريهم العرب بالشابّات المتعلمات. وبرغم عدم اعتراف باحثي التوعية والتواصلِ الخارجيِّ في الصين بهذه اللقاءاتِ أو دراستها دراسة مستفيضة، فإنها جديرةٌ بالاهتمامِ لما كان لها من تأثيرٍ ملحوظٍ على الضيوف العرب. ويمكن افتراضُ أنَّ المسؤولين الصينيين قدّموا أيضاً شاباتٍ ــ في أغلب الظن، الشابات أنفسهن ــ إلى أشخاصٍ ينتمون إلى عدةِ بُلدانٍ أخرى، لكن مذكراتِ الغربيين الذين ذهبوا إلى الصين لم تأت إلى ذكرِ مثلِ هذه اللقاءات ذكراً واسعاً. كان القادةُ الصينيون يشعرون في البدايةِ بالتقزُّز إزاءَ السماح للنساء بالتفاعل مع زائري الشرق الأوسط، مثلما يتَّضِح هذا من تعليمات وزارة الثقافةِ بعدم السماح للكوادر النسائية بالترحيب بالباقوري. بيد أنه سرعان ما تلاشت هذه المخاوفُ. ربما لأن المسؤولين الصينيين بدؤوا يدركون أن العربَ الذين جاؤوا مسافرين إلى الصين هم عموماً مفكرون تقدميون يرون تعليمَ المرأة رمزاً للحداثةِ. وكانت النساءُ اللاتي وقع الاختيارُ عليهن للقاءِ الزائرين العرب من طالبات الجامعات المنتميات لشعبِ الهان. وكانت مهمَّتُهن الأساسيةُ الإعرابَ عن حماسة جيلهن لبناء الصين الجديدة. «من المهم للغاية لي أنْ أقررَ أنَّ مستقبلي الشخصيَّ لا ينفصل عن مستقبل بلدي»، هكذا قالت إحدى السيدات التي تبلغ من العمر ٢١ عاماً لأحد الصحفيين اللبنانيين في عام ١٩٥٣، «إذا كانت بلدي غيرَ سعيدةٍ، فلن يكون هناك ضمانٌ لمستقبلي»[٣٧]. هذا الشعور الوطني الواضح أثراً تأثيراً كبيراً في العرب الذين تمنوا غرسَ الحماسةِ الوطنية نفسها في مجتمعاتهم. وبدا الزائرون العرب أيضاً على استعدادٍ لتصديق المزاعم الصينية حول التسامح الديني عند التحدث مع

(٣٥) الأدهمي، الصين الجديدة في ظل الاشتراكية، ١٢٢-١٢٣.

(٣٦) راجع على سبيل المثال: Cameron, *Mandarin Red*, 32-33.

(٣٧) الأدهمي، الصين الجديدة في ظل الاشتراكية، ١٥٩-١٦٠.

الشابات المتحمسات. على سبيل المثال، حينما أخبرَتْ إحدى الطالبات التي كانت تبلغ من العمر ١٨ عاماً وتدرُس في جامعة بكين علي حمدي الجمل، رئيسَ تحرير صحيفة الأخبار المصريةِ اليومية، أنها ملحدةٌ، ولكنها تحترم جميعَ الأديان، قَبِل هذا التصريحَ دون نقاشٍ، واستشهَد به بعين الاستحسانِ لإثبات أن المجتمعَ الصينيَّ مجتمعٌ متسامحٌ ومتنوع[٣٨]. أظهر هذان اللقاءان مع الشابتين مدى براعة المسؤولين الصينيين في التقرب من ضيوفهم على المستوى العاطفي. ولقد عملوا حرصاً منهم على أن تكون رحلةُ السفر إلى الصين ليست مجردَ فرصةٍ للسياحة، بل فرصة أيضاً للتفكير المجتمعي العميقِ.

مسارُ الرحلة النموذجيُّ حتى عام ٢٠١٨:

بالرغم من صياغةِ ووكر لمفهومه تجاهَ مسار الرحلةِ النموذجي في ذروة الحرب الباردة، فإن إطارَه لا يزال يتمتَّع بالأهمية نظراً لاستمرار الحكومةِ الصينية في السيطرة الدقيقة على الصورة التي تقدمها للعالم. ويواصل قادةُ الصين إنفاقَ مبالغَ كبيرةٍ لجلب ممثلي الدول الأجنبية، ولا سيما الشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، للتجولِ في الصينِ ونقلِ تجاربهم إلى بلادهم. إن الانفتاحَ النسبيَّ للصين في القرن الحادي والعشرين، بالإضافة إلى الطبيعة المريحة المميزة للسفر جوّاً في العصر الحديثِ، يعني بالطبع أن كثيراً من العرب بوسعهم، بل يحصلون فعليّاً على تأشيراتٍ سياحيةٍ ويسافرون إلى الصين بمفردهم. وقد نشر بعضُ الزائرين العرب في العقد الماضي شهاداتهم باللغة العربية حول رِحْلاتهم بمفردهم إلى الصين[٣٩]. وكذلك التحَقَ عددٌ كبير من الطلاب العرب بالجامعات الصينية في دورات دراسية طويلة الأمد، ولا سيما في المجالات العلمية. وقد سافرَ عددٌ متزايدٌ من العرب إلى الصين في الأعوامِ الأخيرة بغرض ممارسة الأعمالِ التجارية، بل استقر بعضُ رجال الأعمال استقراراً دائماً في الصين، وانضموا إلى الجاليات الشرق أوسطية المتنامية في بعض المراكز التجارية مثل كوانزو (Guangzhou) ومدينةِ ييوو الصناعية (Yiwu) بمقاطعةِ تشيجيانغ[٤٠].

---

(٣٨) الجمال، العملاق الأصفر، ٦٤.

(٣٩) انظر، على سبيل المثال، محمود الشناوي، أهلًا بكين (الجيزة، مصر: دار صفصافة، ٢٠١٥).

(٤٠) لمعرفة المزيد حول الجالية المغتربة الشرق أوسطية في ييوو، انظر:
Daniel Bardsley, "Yiwu Is the 'Fastest Growing Muslim Community in China," *National*, August 12, 2012.
وتعد ييوو موطناً لمجموعة كبيرة من الأكراد إلى جانب العرب.

إن هذا التقريرَ ليس معنيّاً بالعرب الذين يزورون الصينَ زياراتٍ مستقلة أو الذين يمكثون في البلاد لمددٍ زمنيةٍ طويلة؛ وإنما يؤكد على أن أفضلَ السبل لفَهم كيفيةِ تقديم الصين لنفسها أمامَ العالم العربي هي التركيزُ على الوفود التي تسافرُ بصفةٍ رسمية أو شبه رسمية وتستقبلها رسميّاً مؤسساتٌ مرتبطة بالدولة الصينية. وغالباً ما تضمُّ هذه الوفودُ صحفيين كثيراً ما تُوجَّه لهم دعواتٌ للسفر في زيارات ممولة بالكامل لحضور فعالياتٍ خاصةٍ في الصين نظراً لقدرتهم على الوصول إلى جماهيرَ كبيرةٍ في بلدانهم الأصلية. وتحرصُ الحكومةُ الصينية أيضاً على جذب وفودٍ أخرى من الزائرين الذين يحتمل أن يكونوا ذوي تأثيرٍ مثل الأكاديميين، وصنّاع القرار، وكبار رجال الأعمال. إن الخطوةَ الأولى لفَهم الكيفيةِ التي يحاول من خلالها قادةُ الصين كسبَ استحسانِ هؤلاء الزائرين هي فَهمُ مسار الرحلة النموذجي لأسفارهم في الصين.

لما كانت الإجراءاتُ الصارمةُ التي اتخذتها بكين ضدَّ الإسلام قد أجبرت المؤسساتِ الصينيةَ المضيفة على تعديل بعض إستراتيجياتها للتعاملِ مع الزائرين الوافدين إليها من الشرق الأوسط، فمن المفيد أن ننظرَ أولاً إلى مسارِ الرحلة النموذجي السابق لعام ٢٠١٨ قبل التركيزِ على العامين الماضيين. شارك المسلمون الصينيون في المدةِ ما بين عامي ٢٠١٠ و٢٠١٨ مشاركةً غيرَ مسبوقة في تنظيم الجولات الدعائية والتفاعلِ مع الزائرين. وقد عكست رغبةُ قادةِ الصين في تسليط الضوء على الروابط الدينية خلال حملاتهم التوعوية حِرصَهم على التحكم في الخطاب الذي ناقش من خلاله الصحفيون والمفكرون العرب الإسلامَ الصينيَّ.

على الرغم من أن إمكانيةَ الوصول من الشرق الأوسط إلى الصين صارت الآن أكبرَ عن أيِّ وقتٍ مضى، فإن قائمةَ الأماكن التي زارتها الوفودُ الرسميةُ في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مقارنةً بمثيلتها في خمسينيات القرنِ الماضي كانت أصغرَ بكثير. إن ظهورَ رحلات الطيرانِ المباشرة إلى بكين من العديد من العواصمِ العربية يعني أنه ليس من الضروري أنْ تطيرَ عبر هونغ كونغ أو موسكو. هذا بالإضافةِ إلى أن الوفودَ لم تعد بحاجةٍ إلى القيام برحلات القطارِ الشاقةِ بمحطاتها الكثيرة أثناء السفر بين مدنِ الصين الرئيسةِ. ولكن الفرقَ الأكثرَ وضوحاً بين خمسينيات القرن الماضي والقرن الحادي والعشرين هو أن سنجان صارت أكثرَ حساسيةً من الناحية السياسية.

ففي حين رحَّب المسؤولون المحليون والوطنيون بالمجموعات العربية لقضاء عيد الفطر في مدينة أورومتشي في كلٍّ من عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦، فإن الحكومةَ الصينية ظلت طوالَ أوائل القرن الحادي والعشرين عازفةً عن إظهار منطقة تعصفُ بها الصراعاتُ العرقيةُ.

في الفترة من منتصف العقد الأول من القرنِ العشرين وحتى عام ٢٠١٨، ظهر موقعٌ جديدٌ ليكون محوراً للدبلوماسية الإسلامية في الصين: نينغشيا، منطقة الحكم الذاتيِّ التي يحكمُها ظاهريّاً أعضاءُ مجتمع الهوي (Hui). وفي أوائل العقد الأول من القرن العشرين، تحولت المنطقةُ، ولا سيما مدينة ينتشوان، بفضل طفرةٍ في الاستثمارِ إلى مقصدٍ مجدٍ للسياحة الأجنبية. وبفضل الدعمِ الذي قدمته بكين، رعت حكومةُ نينغشيا الإقليمية مؤتمراتٍ سياسيةً واقتصاديةً وأكاديمية؛ مما جعلها ذلك مقصداً للوفود العربية الرسمية وشبه الرسمية.

أدى تدفقُ الاستثمارات الحكومية في ينتشوان إلى تحولِ المدينة تحولاً يتلاءم مع وضعِها الجديد بوصفها وجهةً أساسيةً للوفود العربية. من بين المشاريعِ التي أطلقت في ينتشوان خطةً بقيمةِ ٣,٦ مليار دولار لإنشاء «مدينة إسلامية عالمية» وصالةِ وصولٍ بمساحة ٩٠٠ ألف قدم مربعةٍ في مطار ينتشوان خه دونغ الدولي لاستيعابِ الرحلات الجوية المباشرةِ من دبي وعمان وكوالالمبور[٤١]. وكذلك أنجزت الحكومةُ المحليةُ مشروعاً لإضافة النقلِ الصوتيِّ بالعربية إلى جميع لافتاتِ الشوارع في المدينة. كانت هذه المبادراتُ جزءاً من خطة واضحةٍ لتحويل ينتشوان إلى «وجهة سياحية عالمية» يمكن أن تجتذبَ الزائرين من الشرقِ الأوسط[٤٢]. وكان معرضُ الصين والدول العربية الجانبَ الأكثرَ أهميةً في هذه الخطة. ذلك المعرض الذي يقامُ كلَّ سنتين، وكان ملتقىً لرجال الأعمال والسياسيين من كل من الصين والعالم العربي.

على الرغم من تصدُّرِ أخبار المعرض لعناوين الصحف الدولية، فإن هذا التجمعَ في ينتشوان كان الأصغرَ والأقلَّ ترحيباً مقارنةً بالتجمعات الأخرى التي اتسمت بها

(٤١) وثق كايل حداد فوندا مشروعات أخرى في ينتشوان في مقاله الذي نشره تحت عنوان:
"If China Builds It, Will the Arab World Come?" *ChinaFile*, May 5, 2016, https://www.chinafile.com/postcard/if-china-builds-it-will-arab-world-come.

(42) Yang Liu, "Xingzou zai saishang jiangnan" [Walking the "frontier Jiangnan"], Ningxia lüyou [Ningxia tourism], spring 2015, 6.

أنشطةُ الدعوةِ الصينية الموجهة إلى العالم العربي. وقد استضافت مرافقُ المؤتمرات الحديثة في المدينة كلَّ شيءٍ بدايةً من مؤتمرات المرشدين السياحيين الصينيين والعرب وصولاً إلى مؤتمرات القمة لأساتذة الجامعات في الشرق الأوسط. وقد أدت جميعُ هذه الفعاليات إلى تعزيز جهودِ الصين في تحسين صورتِها في الخارج؛ حتى إن المؤتمراتِ الصغيرةَ نسبيّاً، مثل تلك التي أقيمت احتفالاً بزيارة وفدٍ من الطالبات الكويتيات إلى ينتشوان في يناير ٢٠١٦، وفَّرت الإمكانات من أجل التغطيةِ الإيجابية الشاملة في الصحافة العربية[٤٣]. هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من الفعالياتِ ذاتِ الطابع الشرق أوسطي في ينتشوان قد وفرت دعماً لمزيد من الدبلوماسية العامة المباشرة من قبل المسؤولين الصينيين في العالم العربي. وقد أظهر دعمُهم الشديدُ لينتشوان مقدارَ التصور الذي لدى الحكومة الصينية تجاه المدينة بوصفها مركزاً لجميع التعاملات مع العرب في الصين[٤٤].

عندما يصل الزائرون العربُ إلى ينتشوان، دائماً ما كانت برامجُ رحلاتهم تتضمن وجهتين محددتين: متنزه تشاينا هوي كالتشر بارك وأحدَ المساجد المحلية. ويُعدُّ متنزه تشاينا هوي كالتشر بارك، الذي افتتح في عام ٢٠٠٥ وجرت توسعتُه عدةَ مراتٍ على مدى العقد التالي، أحد الحدائق الترفيهية الفخمة التي تمجِّدُ تاريخَ الهوي وثقافتهم. وتضم الحديقةُ بوابةً رئيسةً بارتفاع ١٢٥ قدماً استوحي تصميمُها من تاج محل، ومتحفاً للآثار الإسلامية يتسمُ بالطابع الصيني لـلهوي، ومهرجاناً مسائيّاً تبلغ تكلفتُه ٣١,٥ مليون دولار ويستمدُّ قصتُه من ألف ليلة وليلة. ولقد ظل يعملُ في ذلك المتنزه حتى وقتٍ قريب عشراتُ الشباب المسلمين المحليين الذين درسوا اللغةَ العربية وتلقوا تدريباً على التفاعلِ مع الزائرين العرب[٤٥].

وهكذا استطاع المسؤولون الصينيون من خلالِ اجتذابِ الأجانب إلى الحديقة إضفاءَ بعضِ الإثارة إلى ما يمكن اعتبارُه جدولاً كئيباً نوعاً ما. وعلى النقيض من المحاضرات المتواصلة وترديد الإحصاءات الرسمية التي تميزت بها معظمُ الجولاتِ في

(٤٣) بدء رحلة «كن من المتفوقين» من الصين، الوطن، ١١ يناير ٢٠١٦.

(٤٤) انظر، على سبيل المثال، ليو هوي، «نينغشيا تسعى لتلبية احتياجات الصين ومصر»، الأهرام، ٣٠ مايو ٢٠١٦.

(45) Haddad-Fonda, "If China Builds It, Will the Arab World Come?"

الصين خلال الخمسينيات، فقد اشتمل مسارُ الرحلة خلال القرن الحادي والعشرين للضيوف العرب على قليل من المرح؛ فكان الغرضُ الأساسيُّ من متنزه تشاينا هوي كالتشر بارك إبهارَ الزائرين بحجمها الكبير الذي من المفترض إثباتُ أنَّ الحكومةَ الصينية مستعدةٌ لإنفاق مبالغَ ضخمة للاحتفاء بمواطنيها المسلمين. وبشكلٍ عامٍّ، فقد بدا زائرو ينتشوان من العرب منبهرين للغاية بعظمة الحديقة. فنجد، على سبيل المثال، صحفيّاً من إحدى المجلات القطرية وقد أعرب عن روعة «مجمع المباني المعمارية الهائل ذي المآذن والقباب ذهبية اللون» وأبدى إعجابَه بالكتابات القرآنية الموجودةِ في العديد من مباني المتنزهِ[٤٦]. وكذلك امتدح أحدُ الزائرين الجزائريين «جمالَ الحديقة الساحر وعظمتها التاريخية»[٤٧]. هذه التعليقاتُ لم تعززْ سمعةَ الصين فيما يخصُّ تعاملَها المحترم مع سكانها المسلمين فحسبُ، بل عززت أيضاً المفهومَ الأكثر ابتذالاً بأن الصينَ بلدٌ غنيٌّ تتخذ فيه جميع أعمال البناء الجديدة نطاقاً هائلاً.

كثيرٌ من الوفودِ العربية كانت تزورُ حديقةَ تشاينا هوي كالتشر بارك لاستكشافها مباشرةً قبل زيارتهم لأحدِ المساجد أو بعدها. وقد اجتذب العديدُ من المساجد في ينتشوان الزائرين الأجانبَ، بما في ذلك المسجدُ الكبير في تونغشين، ومسجدُ الشيخ زايد المموَّلُ من الإمارات في مدينة تشونغ المجاورة[٤٨]، لكن الوجهةَ الأكثر شيوعاً بكثير للوفود العربية كان مسجدَ نجياهو الذي يقع على مسافةٍ قريبة من تشاينا هوي كالتشر بارك في مقاطعة يونغنينغ في ينتشوان. شُيِّد مسجد نجياهو في الأصل خلالَ عهد أسرة مينغ لخدمة سكانِ قرية نا المجاورة. وقد تحول المسجدُ إلى مصنعٍ للكُراتِ الفولاذية خلال الثورة الثقافية، ولكنه خضع لاحقاً للتجديد، ثم افتُتِح أمام السياح[٤٩]. ومن بين أسباب استقبال مسجد نجياهو لعدد كبير من الزائرين هو أنه مبنيٌّ على الطراز الصينيِّ التقليدي، واحتواؤه على أفنيةٍ شبيهةٍ بتلك التي في القصور، ومآذنَ تشبه مثيلتَها في المعابد. وانطلاقاً من

---

(٤٦) «نينغشيا بوابة الصين العربية» الدوحة ٨٢ (أغسطس ٢٠١٤).

(47) Sefta Leïla, "Chine . . . Un développement harmonieux internationnal" [China . . . a harmonious international development], Le Maghreb, June 29, 2014.

(٤٨) للاطلاع على تقارير الزائرين العرب الذين قد أخذوا إلى تشونغ، انظر: سمير خير أحمد، «مسلمو الصين: كيف يفهموننا؟»، العربي، ٣٠ نوفمبر ٢٠١٥؛ عبد الزهرة محمد الهنداوي، «مقاطعة نينغشيا الصينية... غالبية سكانها مسلمون ويحبون التبرك بالعرب» الصباح الجديد، ٩ يونيو ٢٠١٥.

(49) Dru Gladney, Muslim Chinese: Ethnic Nationalism in the People's Republic (Cambridge, MA: Harvard University, Council on East Asian Studies, 1996), 136.

رغبة المسؤولين الصينيين في تذكير زائريهم بتاريخ الإسلام الطويل في الصين، فقد وجدوا أنه من الأكثر إفادةً أن يأخذوهم لرؤية أحدِ المساجد المبنيّة على الطراز التاريخي. وأما فيما يخصُّ السببَ الرئيس الآخرَ لأهمية مسجد نجياهو، فهو قربُه من حديقة هوي كالتشر بارك. وقد حاولَت سلُطاتُ ينتشوان تجميعَ المواقع السياحية ذاتِ الطابَع الإسلامي بالمدينة في حيٍّ واحد، مما يجعلُ من الأيسر إلى حدٍّ ما السيطرةَ على ما سيراه الزائرون العرب في المدينة.

إن اختيارَ مسجد نجياهو ليكون مقصِداً للوفود العربية يعني أنَّ إمامَ المسجد أصبح جزءاً مهمّاً من الجهود الدبلوماسية الصينية؛ فكان يُدعى بصفة دورية لإشراك الزائرين العرب في مناقشات حول الإسلامِ الصيني. ومثلما حدث في الخمسينيّاتِ، فقد فضَّلَت السلطات الصينية أن يتحدثَ الأجانبُ مع الشخصيات المرموقة المتمرسة التي يمكنها التعبيرُ عن توجهات الحزب، بدلاً من المواطنين العاديين غيرِ المتمرسين الذين قد يخرجون بسهولةٍ عن النصِّ. ولذا، تميل التقاريرُ المنشورة للعرب الذين أُخِذوا لزيارة مسجد نجياهو إلى تقديم سَردٍ متطابقٍ لمناقشات متماثلةٍ مع الإمام نفسِه. فهناك، على سبيل المثال، صحفي أردني وآخَرُ قطريٌّ سافرا إلى ينتشوان في صيف عام ٢٠١٤، واقتبس كل منهما حرفيّاً تفسيرَ الإمام لتأثير مبادرة السياسة الخارجية الصينية المهمة: «تشهد اللغةُ العربية توسعاً مميزاً واهتماماً متزايداً من جميع فئات المجتمع الصيني، مشيراً إلى أن إنشاء «طريق الحرير الجديد» سيؤدي إلى انتشار اللغة العربية انتشاراً كبيراً»[٥٠]. ومن بين المهامِّ الأخرى التي أنيطت إلى الإمام إلى جانب التشجيع على تعلم اللغة العربية في نينغشيا مهمةُ شرح موضوعات مثل المزايا التي يحصل عليها المسلمون من تطبيقهم لسياسةِ الطفل الواحدِ (التي كانت حتى عام ٢٠١٥ جزءاً مهمّاً من الحملة الدعائية بشأن سياسةِ الأقلية الصينية، على الرغم من أنها تحولت إلى موضع خلافٍ اليومَ بعدما خفَّت القيود المفروضة على تلك السياسة). كان مسارُ الرحلة الذي قدمه المسؤولون الصينيون للزائرين العرب متسقاً للغاية، لدرجةٍ كان من الممكن معها العثورُ على مقالات عن زائرين

(٥٠) «نينغشيا بوابة الصين العربية»؛ صالح الخوالدة، «إقبال متزايد على اللغة العربية في نينغشيا الصينية»، وكالة الأنباء الأردنية، ١٦ يونيو ٢٠١٤.

من اليمن ومصر والكويت والإمارات العربية المتحدة والجزائر التقوا الإمامَ نفسَه في مسجد نجياهو[٥١].

في نينغشيا، غلب التركيز على الإسلام معظم جوانب مسارات الرحلات المعطاة للزائرين العرب. وحتى النزهات المخصصة في المقام الأول للترويج لكفاءة الصين الاقتصادية ذكّرت الزائرين أيضاً بالفرص التي أتاحها تطورُ البلاد للمسلمين المحليين. في الخمسينيات، تلك الحقبة التي التزمت فيها الحكومةُ الصينيةُ بالنظرة الماركسية تجاهَ العالم والتي مجَّدت الصناعةَ الثقيلة، سلطت جولاتُ المصانع الضوءَ على أكثر المشاريع طموحاً في الصين الجديدة: مصافي النفط، ومصانع الأسمنت، ومصانع الشاحنات، وأفران تصنيع الصلب بكميات هائلة خصوصاً خلال القفزة العظيمة للأمام. وربما يكون المسؤولون قد رتبوا أن يلتقيَ ضيوفُهم العربُ عمالَ المصانع المسلمين، مثلما فعل الباقوري، لكن مثلَ هذه اللقاءات كانت أقلَّ أهميةً من الهدف الأساسي المتمثلِ في إظهار أن الحزبَ الشيوعي الصيني قادرٌ على تحويل الصين. في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، لم يستطع أحدٌ في المقابل أن يشككَ في أن الصينَ أصبحت دولةً رائدةً في مجال الصناعات الثقيلة، ولذا لم تعد الحكومةُ الصينية في حاجةٍ إلى جعلِ أكبرِ مصانعها جزءاً من الجولات الدعائية. فكان العربُ في نينغشيا عادةً ما يزورون كبديل الأنشطةَ الأصغر التي غالباً ما تضطلع بأعمالِ تعبئة الأغذية الحلال وشحنها[٥٢]. أدت هذه اللقاءاتُ غرضَين مكمِّلَين لبعضهما؛ أولاً، قدمت تأكيداً على أن الأطعمةَ الحلالَ في الصين، والتي يُصدَّرُ معظمُها إلى الشرق الأوسط بأرباح كبيرة، مصنعةٌ وَفقاً للمعايير الإسلامية السليمة. وثانياً، أثبتت أن المسلمين الصينيين استفادوا من الازدهار الاقتصاديِّ الذي حققته الصينُ دون التخلي عن تراثهم الديني والثقافي.

على الرغم من اهتمام الحكومة الصينية المستمر الذي توليه للإسلامِ خلالَ الجولات الدعائية قبل عام ٢٠١٨، فقد أتيحت للزائرين العرب فرصةُ لقاءِ المواطنين الصينيين غيرِ

(٥١) على الخيل «نينغشيا سلة الصين الغذائية ومدينة التنوع الثقافي...ونقطة البداية لطريق الحرير الجديد!»، سبأ نت، ٧ أكتوبر ٢٠١٤، http://sabanews.net/ar/print370779.htm

نهال الشريف «مآذن الصين تصدح الله أكبر»، أحوال مصر، ١٠ يونيو ٢٠١٥؛ «طالبات «كن من المتفوقين» يزرن مسجداً تاريخيّاً في مقاطعة نينغشيا»، الراي، ١٥ يناير ٢٠١٦؛ «أحمد بن سعيد يتجول في بوابة الصين مع الدول العربية»، الاقتصادي، ٥ يونيو ٢٠١٦؛ Leïla, "Chine . . . Un développement harmonieux international"

(٥٢) انظر: «نينغشيا بوابة الصين العربية».

المسلمين. في تلك الفترة، كان أشهرُ المشاركين في حملات التواصل الصينية مع الزائرين العرب طالبةً من جامعة بكين للدراسات الأجنبيةِ والتي كانت تغنِّي باللغة العربية أغانيَ المطربة اللبنانية فيروز. ولطالما حازت هذه الطالبةُ، التي استُفيد منها في تقديم عروضٍ للوفود العربية في كلٍّ من بكين ونينغشيا، على إشادة جمهورها[٥٣]. ووصفها أحدُ الزائرين الأردنيين، الذين رأوها تغني في ينتشوان، بأنها «أكبرُ مفاجآت» رحلتِه إلى الصين، وامتدحها قائلاً إنها غنت «بصوتٍ ولهجةٍ رائعَين»[٥٤]. وقد اشتُهرت هذه المغنيةُ لدرجةٍ جعلتها رمزاً للدعاية الصينية حتى وإن لم تكن موجودةً للغناء؛ فنجد على سبيل المثال، إحدى السيداتِ المسلمات من الحي المحيط بمسجد نجياهو تتفاخرُ لصحفي قطري بأداءٍ سابقٍ للمغنية، مؤكدةً على أن إتقانَها للموسيقى العربية «يمثل مَزجاً للثقافات بين الشعوب العربية والشعب الصيني»[٥٥]. في جميع الأحوال، إن حقيقةَ استخدام صحيفة أردنية ومجلة قطرية لغة شبه متطابقة خلال شهرين لوصف هذه المطربة تعكس مدى تقيُّدِ المسلمين الذين استقبلوا الأجانب في نينغشيا بالسيناريو المعَدِّ، ولا سيما عند التحدث باللغة العربية. لقد اشتملت مختلف مستويات البيروقراطية الحكومية في الصين على مغنيةِ أغاني فيروز؛ لأن لغتَها العربيةَ المثاليةَ أثبتت أن بعضَ المواطنين الصينيين غيرَ المسلمين قد اعتنقوا الثقافةَ العربية. وقد يفسر المرءُ أيضاً وجودَها الدائمَ على أنه المعادل في القرن الحادي والعشرين لإستراتيجية الخمسينيات المتمثلة في تعريفِ الزائرين بفتياتِ الهان. وقد اكتشفت الحكومةُ الصينية أن الزائرين العربَ يميلون إلى تكوينِ ردودِ فعلٍ عاطفيةٍ إيجابيةٍ تجاهَ اللقاءات مع الطالبات الرزينات اللاتي لديهن معرفةٌ وخبرة بالحياة. وبرغم تطور تفاصيل كيفيةِ ترتيب المسؤولين الصينيين لتلك اللقاءات، فقد ظل المنطقُ الأساسي الكامن وراءها ثابتاً دون تغيير.

ولعل أحدَ جوانب المسار النموذجي الذي تغيَّر تغيراً واضحاً بعد الخمسينيات هو التأكيدُ المتناقصُ على السياسة الداخلية. ولا تزال الحكومةُ الصينية ترتب للأكاديميين والباحثين إشراكَ ضيوفهم في المحادثات الأيديولوجية خلال المؤتمرات، بيد أنه دائماً

(٥٣) شاهدها كاتب هذا التقرير وهي تغني أغنية «زهرة المدائن» في حفل نظمته جمعية الشعب الصيني للصداقة مع الدول الأجنبية في الاحتفال (المتأخر) باليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني في بكين في ديسمبر ٢٠١٣

(٥٤) «إقبال متزايد على العربية في نينغشيا الصينية» وكالة الأنباء الأردنية، ١٦ يونيو ٢٠١٤.

(٥٥) «نينغشيا بوابة الصين العربية».

ما تنصبُّ موضوعات مثل هذه الفعاليات حول الشؤون الدولية، ولا تطرق إلى أيٍّ من الأحداث الجارية داخل الصين[٥٦]. لقد ولَّت الأيامُ التي كان يقود فيها المسؤولون الصينيون الزائرين خلال المسيرات والمظاهرات واللقاءات الجماهيرية لإلهام المواطنين الصينيين المشاركين في حملات التعبئة الوطنية. وكان السببُ الأكثر وضوحاً لهذا التغيير هو زوالَ السياسة الجماهيرية الماوية عادة ما كانت تمزُج بين القضايا الدولية والمحلية لإثارة الشعب. وفي الوقت نفسه، فإن إحجامَ الحكومة الصينية عن تزويد الزائرين العرب بأيٍّ نافذةٍ على شؤون الصين الداخلية يعكس أيضاً حساسيتَها العميقةَ تجاه الانتقادِ الخارجي للسياسة الداخلية.

الرواية الإسلامية الناشئة:

لا يمكنُ لأيٍّ شخص كان قد تحمَّلَ الضغطَ البالغَ الناجم عن حسن الضيافة الصينية أن يصفَ التجربة بأنها تجربةٌ يصعُب ملاحظتُها. في عام ١٩٥٦، كتب أحد الصحفيين الفرنسيين الذين أزعجتهم الأبهةُ البالغةُ التي كان الهدفُ منها إثارةَ إعجابه قائلاً إنه شعر «بالاختناق» بسبب الاهتمامِ المستمرِّ لمرافقيه[٥٧]. فقد أدى ولَعُ القادة الصينيين باللغة الصريحة المباشرة والمظاهر المهيبة إلى دفع معظم المحللين إلى تقييم الجولاتِ الدعائية الصينية بعباراتٍ صارخة. إنهم يطرحون أسئلةً مثل «هل كان الرأيُ العامُّ للزائر إلى الصين إيجابيّاً أم سلبيّاً؟» أو «هل صدق الزائر تصريحات المسؤولين الصينيين؟». ولكي يكون اللقاءُ فعالاً حقّاً، فإنه يجب أن ينجحَ على مستوىً أكثرَ دقةً. ويجب أن يغرس في ذهن الضيف إطاراً يمكنه مساعدتُه على فَهم الأخبار الواردة عن الصين فَهماً متعاطفاً لوقت طويل بعد عودته من رحلة قصيرة؛ ذلك أن الدعايةَ المستمرةَ ترتبط بخلق رواية ديناميكية، وليس قراءة الإحصاءات. ويشارك المسؤولون الذين

---

(٥٦) على سبيل المثال ، ذكر رئيس المجلس المصري للشؤون الخارجية أن جدول أعماله خلال زيارته إلى الصين تضمن نقاشات حول سياسة الشرق الأوسط مع أكاديميين في جامعة الصين للشؤون الخارجية في بكين ومؤتمر بعنوان «الصين في القرن الحادي والعشرين والعالم» في معهد شنغهاي للدراسات الإستراتيجية. انظر:
Mohamed Shake, "Wo suo jiandao de zhongguo: yiwei fangwenzhe de yinxiang", in Muhammad Nu'man Jalal, ed., *Aijiren yan zhong de zhongguo*

ترجمة:

Wang Youyong (Shanghai: Shanghai Foreign Language Education Press, 2006), 57.

(57) Robert Guillain, "600 millions de Chinois dans l'engrenage communiste" [600 million Chinese in the communist machine], Le Monde, January 18, 1956, 1.

يستقبلون الزائرين العرب في الصين ضيوفَهم، الذين يصلُ معظمهم دون أيِّ معرفةٍ تُذكَّر عن الإسلام في الصين، منظوراً يساعدهم على قَبول التفسير الرسمي للتاريخ الديني في الصين. إن فَهم مدى فعالية الجولات الدعائية الصينية لكبار الشخصيات العربية يتطلب إدراكاً لكيفيةِ صَقل هذه الرواية على مدى عقود لخدمة الاحتياجات المتغيرة للدولة الصينية.

ومن أحدِ الأمثلة المهمة على براعة الحكومةِ الصينية في السيطرة على شروط الخطاب المتعلق بالإسلامِ في الصين هو نجاحُها في حثِّ الزوار على تبنِّي منظورها لتصنيف الأقليات السكانية إلى ست وخمسين مجموعةً تعرف باسم المينزوس (minzus). ولطالما شعرَت بكين منذ بَدء تطبيق نظام المينزو في عام ١٩٥٤ بالقلق من احتمالية ألا تتفهَّمَ الجماهيرُ الأجنبية فوارقَه اللفظيةَ الدقيقة. فالباقوري، على سبيل المثال، حينما سافر في جولةٍ بالصين في عام ١٩٥٥، راقب موظفو وزارةِ الخارجية عن كَثبٍ ردةَ فعله تجاه النقاشات المتعلقة بسياسةِ الأقليات ووضعوا إستراتيجيةً حول أفضل السبل لتوضيحِ التفاصيل(٥٨). ولكن على الرغم من هذه المخاوفِ الأولية، فإن معظمَ العرب الذين سافروا إلى الصين في الخمسينيات قَبِلوا إطار المينزو دون نقاشٍ. وعندما نشروا انطباعاتهم حول الصين باللغة العربية في كتبٍ أو مقالات، أكد الكثيرون منهم أن المجتمعَ الصينيَّ يتكون من «شعوب» متميزةٍ (عادةً ما كانت تترجم مينزو إلى الكلمة العربية «شعب»)، ووصفوا معاييرَ تَعداد المينزوس، وأدرجوا أسماءَ القوميات العشر ذات الأغلبية المسلمة(٥٩). وقد واصل المعلقون العربُ في القرن الحادي والعشرين قَبولَ الأسس التي تقوم عليها سياسة الأقلية الصينية، بما في ذلك فكرةُ أن الصينَ لديها ستٌّ وخمسون «قوميةً» (ولم تعد تترجم مينزو الآن إلا إلى الكلمة العربية «قومية»)(٦٠). ولعل الأهمَّ من ذلك هو أن الزائرين العرب يواصلون تَكرار التصريح الرسمي القائل بأن الهوي والأويغور، أكبرُ قوميتين مسلمتين، تمثلان عِرقَين منفصلَين يتمتعان بحكمٍ ذاتيٍّ في أوطانهما في نينغشيا وسنجان(٦١). وترى الحكومةُ الصينية، التي تفضل أن

(٥٨) نص أحاديث أحمد حسن الباقوري، ٢٥ مايو ١٩٥٥، ١٠٧-٠٠٠٧-٠٤، CFMA.

(٥٩) محمد البيلي، «أول تحقيق مصري عن الصين الشعبية!»، روزاليوسف ١٤٣٥ (١٢ ديسمبر ١٩٥٥)؛ الجمال، العملاق الأصفر، ٦٩؛ الأدهمي، الصين الجديدة في ظل الاشتراكية، ٤٨.

(٦٠) عبد الرزاق بني هاني، «رحلتي إلى الصين...رؤية جديدة»، جو ٢٤، ١٠ أغسطس ٢٠١٥.

(٦١) «نينغشيا بوابة الصين العربية».

يعرِّفَ مواطنوها المسلمون أنفسهم بوصفهم أعضاء لقوميات مختلفة، أنه من المفيدِ أن يُبرِز الصحفيون الأجانب هذا الإطارَ. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه من خلال تبنِّي الخطاب الصيني الرسمي بشأن الأقليات في الصين، فسيسمح المعلقون العربُ للدولة الصينية بإملاءِ شروط النقاش المتعلق بالصين في الشرق الأوسط، وتعزيز فكرةِ أن الصينَ مجتمعٌ متعددُ الثقافات.

منذ اللحظةِ التي بدأ فيها الحزبُ الشيوعي الصيني في تصنيف الأقليات العرقية في عام ١٩٥٤، وجد أن قوميةَ الهوي تناسب على نحوٍ غريبٍ المعاييرَ التي حددها. وقد أكدت السياسةُ الرسميةُ من خلال الاستلهام بشكلٍ كبير من أفكار ستالين حول أصول الأمم أنه لا يمكنُ لمجموعةٍ من البشر أن تشكلَ قوميةً متمايزة إلا إذا كانوا يعيشون في إقليمٍ معين، ويتحدثون لغةً فريدةً، ويمارسون الاقتصادَ نفسَه، ويتمتعون «بتركيبة نفسية» مشتركة. هذا ولا يُعَدُّ الدينُ، وَفقاً للمبادئ الماركسية، عاملاً مهمّاً في تصنيف المجتمعات. ولكن الهوي، الذين يتحدثون الماندرين واللهجات الصينية الأخرى، والمنتشرين في جميع أنحاء الصين، والذين كانوا متميزين عن أغلبية الهان لالتزامهم بالإسلام، تحدَّوا التصنيفَ[٦٢]، في حين توافق الأويغور مع المعايير الرسمية توافقاً أكبَر، ومن ثَمَّ فإنه ليس من المستغرب إذن أن تختارَ بكين في أكتوبر عام ١٩٥٥ أن تجعلَ سنجان ثانيَ المناطق المستقلة (بعد منغوليا الداخلية) تتمتع «بالحكمِ الذاتيِّ» على يد أعضاءِ قومية معينة. وأما فيما يخصُّ الحكومةَ الصينيةَ التي استثمرت في إطار المينزو أو القومية، فقد كان من المهم دائماً تقديمُ كلِّ شعب من شعوب الأقليات لديها باعتباره شعباً يضرب بجذوره في مكانٍ معين. ومن ثَمَّ، روَّجَ قادة الصين في منتصف الخمسينيات لسنجان، ولا سيما عاصمتها أورومتشي، باعتبارها «مركزاً» للإسلام في الصين. إن أورومتشي، التي ازدهرت في عهد أسرة تشينغ كونها حاميةً عسكريةً للجيش الإمبراطوري، والتي كانت تتمتع على الأقل بتعدديةِ الهان، ربما كانت خياراً غيرَ مناسب لهذا التصنيف الرفيع، لكن الصحفيين العرب قبلوا بسهولةٍ ما قيل لهم. وبعد عودةِ الباقوري من سنجان في مايو ١٩٥٥، أشادت المجلةُ الرسميةُ التابعة للضباط الأحرار

(62) Kevin Caffrey, "Who 'Who' Is, and Other Local Poetics of National Policy: Yunnan Minzu Shibie and the Hui in the Process," China Information 18 (2004).

الذين يحكمون مصرَ بأورومتشي باعتبارها «أعظمَ عواصم الثقافة العربية والإسلامية في الصين»، وهو ادعاءٌ خياليٌّ يتناسب مع الروايةِ الصينية الرسمية عن تلك الحقبة(٦٣).

عمِلَ القادةُ الصينيون في القرن الواحد والعشرين على صرفِ الانتباه عن أزمة الأويغور بتسليطِ الضوء على قوميةِ الهوي، فقد منحوا نينغشيا المَزيّات نفسَها التي كانت تختصُّ بها في السابق شينجيانغ. وعندما فصلَت الحكومةُ الصينية نينغشيا عن مقاطعة غانسو لإنشاء منطقةِ حكمٍ ذاتي لقومية الهوي في عام ١٩٥٨، كانت تعي أن نسبةً ضئيلةً فقط من شعب الهوي لا تزال تعيشُ في المنطقة التي كانت تُعدُّ حينها في الظاهر موطناً لعرقهم. ولم تمنع هذه الحقيقةُ القادةَ الصينيين من منح نينغشيا وضعاً خاصّاً، ولا سيما عند تعاملهم مع الزائرين العرب. وتنكشف الحقائقُ عند النظر في التصريحات غير الدقيقة التي كان يدلي بها الصحفيون العرب حول المقاطعةِ عقِبَ زيارتهم إلى الصين. وربما لم يكذِب المسؤولون الصينيون على ضيوفِهم بشكلٍ صريح، ولكنهم لم يبذلوا أيَّ جهد في تصويب انطباعاتهم الخاطئة التي من شأنها تدعيمُ الرواية الصينية. ونتيجةً لذلك امتلأت الصحفُ العربية بمعلومات مغلوطة عن الإسلام في الصين. فقد أكدت مقالاتُ الزوار على سبيل المثال أن معظمَ الناس في نينغشيا مسلمون أو أن معظمَ سكان المقاطعة يحيُّون بعضهم البعض باللغة العربية، في حين أن عددَ المسلمين في المقاطعة يتخطى الثُلُثَ بقليل(٦٤). ولم يكتفِ أحد الصحفيين العراقيين بزعم أن غالبيةَ سكان نينغشيا من المسلمين، بل بالغ أيضاً في أهميتِها من الناحية الوطنية قائلاً إن كلَّ المسلمين الصينيين «يتمركزون» في هذه المنطقة(٦٥). وكان الصحفيون بتأكيدهم على أن نينغشيا تمثِّلُ الوطنَ القانونيَّ لقومية الهوي كانوا يضعون الهوي في مرتبةٍ أعلى من غيرهم من العرقيات المسلمة الأخرى في الصين. ومن ثَمَّ، لم يكن من المثير للدهشة أن تؤكدَ الصحفُ العربية بشكل خاطئٍ على أن غالبيةَ المسلمين في الصين من قومية الهوي(٦٦). ولقد استمرت هذه الأخطاءُ لأن الحكومةَ الصينية لم تر أن من

(٦٣) «التحرير مع الباقوري في الصين الشعبية»، مجلة التحرير، ٢١ مايو ١٩٥٥، ١٦-١٧.

(٦٤) أحمد، «مسلمو الصين: كيف يفهموننا؟» «نينغشيا بوابة الصين العربية». للاطلاع على إحصائيات حول عدد المسلمين في المقاطعات الصينية، انظر:
Min Junqing, "The Present Situation and Characteristics of Contemporary Islam in China," *Journal of Interdisciplinary Study of Monotheistic Religions* 8 (2010).

(٦٥) الهنداوي، «مقاطعة نينغشيا الصينية».

(٦٦) شادي صبحي، «المسلمون حول العالم: مسلمو الصين على طريق الحرير»، المصري اليوم، ٣٠ يونيو، ٢٠١٦.

مصلحتها تصويبَها؛ فكلُّ مبالغةٍ صغيرة عن أهمية الهوي تعزز الرؤيةَ التي تعتمدها الدولةُ عن الإسلام في الصين.

وكانت الجولاتُ السياحية التي يصحبها مرشدون سياحيون تُصِرُّ على تلقين الزوار العرب رؤيةً معينةً عن تاريخ الهوي تبرز الصلاتِ بين مجتمعهم والشرق الأوسط. وتذكر «قصة منشأ» قوميةِ الهوي التي تحظى بقَبولٍ كبير في الصين، أن أصولَ جميع أفراد القومية تعود إلى التجار العرب المسلمين الذين وصلوا إلى المدن الساحلية في جنوب الصين إبّانَ حكم أسرةِ تانغ، وقد تبنَّوا بعضَ العادات الصينية وتزوجوا من نساءٍ محليّاتٍ. ولأن نظامَ القومية في مجمله يستندُ إلى افتراض الصلةِ المباشرة، فإن هذه الروايةَ تقدم مجتمعَ الهوي الحديث على أنه دليلٌ حيٌّ على وجود صِلةٍ تاريخية بين المجتمعين الصيني والعربي. وكان القادة الصينيون حريصين على مشاركة هذه الرؤية ولم يجد الزوارُ العربُ غَضاضةً في قَبولها. وغالباً ما كانت التقاريرُ الصحفية التي يكتبها الصحفيون العائدون من الصين تعكس شعوراً بالقرابة بين الهوي وأبناء عمومتهم من العرب. وقد ذكر صحفي أردني على سبيل المثال أنَّ الهوي «يعُدُّون أنفسهم أحفاداً للعربِ الذين استقروا في الصين». وأضاف صحفي قطريٌّ عنصراً آخرَ لخلفية الهوي العرقية زاعماً أنهم «ينحدرون من أصولٍ عربيةٍ وفارسية»[٦٧]. وأدى هذا التركيزُ على مفهومِ أن الشرقَ الأوسط هو مصدرُ الإسلام في الصين إلى صرفِ الانتباه عن الأعراق الأخرى بما فيهم الأويغور والكازاخ التي تنحدرُ أصولُ أبنائها من الشعوب المتحدثة بالتركية والتي تحولت إلى الإسلام مع انتشاره شرقاً عبر آسيا الوسطى. وقد يبدو هذا الاختلافُ تافهاً، ولكنه أصبح جانباً مهمّاً في إستراتيجية الحكومة الصينية للتقرب من الزائرين العرب الذين أثبتوا أنهم على استعدادٍ للتعاطفِ مع مجتمعٍ يعتقدون أنهم يشاركونه صِلاتٍ تاريخيةً مباشرةً.

وقد تلاعبت الحكومةُ الصينية بالطريقة التي تقدِّمُ بها الإسلامَ في الصين من أجل تعزيزِ الصلات بين الزائرين العرب وبين قومية الهوي باستخدام طريقةٍ أخرى هي المبالغةُ في التأكيد على دور اللغة العربية في الصين. وتعَدُّ اللغةُ العربية

(٦٧) أحمد، «مسلمو الصين: كيف يفهموننا؟» «نينغشيا بوابة الصين العربية».

موضوعاً حساساً في الصين لأسباب تتعلقُ بحقيقة أن شعبَ الهوي لا ينسجم تماماً مع نموذج «المينزو». فاللغةُ المشتركة من المعايير التي تحدد كلَّ عِرقٍ، ولكن الهوي المتحدثين باللغة الصينية يستخدمون نفسَ اللغة التي تستخدمها عرقيةُ الهان التي تمثلُ الأغلبيةَ. وقد خشي الحزبُ الشيوعي الصيني من أن تؤثرَ الولاءاتُ الدينيةُ على التزامات المسلمين الصينيين تجاهَ القومية الصينية، فأطلق في أوقاتٍ مختلفةٍ حملاتٍ صاخبةً تذكِّرُ الهوي بضرورة تبني الصينيةِ، بدلاً من العربية، لغةً لمجتمعهم. وفي مارس من عام ١٩٥٨ بينما كانت «القفزةُ العظيمة للأمام» في بدايتها، خاطب أحدُ الباحثين من شعب الهوي قومَه على صفحات المجلة الرسمية للرابطة الإسلامية في الصين التي تديرها الدولةُ مذكراً إياهم بضرورة ألّا يشعروا بالتعلقِ باللغة العربية، وانتقد المنادين بضرورةِ تقديمِ دوراتٍ دراسيةٍ في اللغة العربية في المدارس التي يلتحقُ بها شبابُ الهوي[٦٨]. وبينما يصفُ هذا المقالُ بدقةٍ رأي بكين في مسألة تعليم اللغة العربية خلال منتصف القرن العشرين، أعطى المسؤولون الصينيون انطباعاً مختلفاً تماماً للزوار العرب. ففي عام ١٩٥٥ على سبيل المثال أكد حراسُ الباقوري أن طلابَ الهوي يتعلمون العربيةَ في المدارس الحكومية[٦٩]. وقد حرَّفت الصحفُ المصرية هذا البيانَ وأخبرت قراءَها أن هذه المدارسَ كانت تعلم الطلابَ قراءةَ القرآن وتاريخَ الشرق الأوسط[٧٠]. وكانت الحكومةُ الصينية خلال هذه الفترة الليبرالية نسبيّاً، التي سبقت قَمعَ عامِ ٢٠١٨، قد دعمت بصدقٍ تعلمَ اللغة العربية بين أبناء الهوي (ولكن ليس في المدارس الحكومية)، وواصلت إستراتيجيتها في جذب الزائرين العربِ من خلال تسليط الضوءِ على هذه الصلة اللُّغَوية. ولم تكن الحكومةُ تقصد بإرسال زوارِها من العرب إلى الأكاديميات اللغوية أو بحرصها على أن يتفاعلوا مع الشبابِ المسلمِ الذي سبق أن درس في الشرق الأوسط اتباعَ تقليدٍ قديم أو مجاملة هؤلاء الزوار وحسب، ولكنها كانت تؤكدُ على أن المسلمين الصينيين ينظرون إلى الشرقِ الأوسط على أنه القلبُ الروحيُّ والثقافي للعالم الإسلامي.

---

(68) Ma Feilong, "Gedi yisilanjiao jie jinxing shehuizhuyi da bianlun, shenru fan you douzheng" «المجتمع المسلم بأكلمه ينخرط في الحوار حول الاشتراكية ويشارك بالكامل في الصراع ضد اليمين»، المسلمون الصينيون، مارس ١٩٥٨، ٧-٨.

(٦٩) ملخص زيارة أحمد حسن الباقوري ومصطفى كامل، مايو ١٩٥٥، ١٠٧-٠٠٠٧-٠٣، CFMA.

(٧٠) «ما رآه الباقوري في الصين الشعبية»، مجلة التحرير، ١٩ يوليو، ١٩٥٥.

وكان من المحتم أن يتعارضَ تصويرُ الحكومة الصينية مواطنيها المسلمين على أنهم جزءٌ من مجتمعٍ إسلامي عالمي مركزه الشرق الأوسط مع هدفها الأبرز في تقديم المسلمين الصينين على أنهم مواطنون أوفياء للقومية الصينية. وقد برز هذا التعارض جل ما برز عند النقاش مع الزائرين العرب حول الشريعة الإسلامية في الصين. فطالما وجدت بكين نفسها في موقف دقيق يضطرها للتوضيح لزوارها العرب أن المسلمين الصينيين يمكنهم العيش وفقاً للتعاليم الإسلامية دون تقويض سلطتها. ويبدو أن المسؤولين الصينين قد ناقشوا مسألة الشريعة الإسلامية بشكل يشوبه الغموض في خمسينيات القرن الماضي، وكانوا يسمحون بشكل عام للزائرين بتصديق ما يشاؤون حول الوضع القانوني للشعائر الإسلامية. وكان تعدد الزوجات من المواضيع البارزة التي كانت مثاراً للخلاف. فقد ذكر صحفي مصري في ديسمبر من عام ١٩٥٥ أنه كان مسروراً لمعرفته أن المسلمين الصينيين يمكنهم الزواج أربع مرات[٧١]، ومدح مصري آخر من نفس الحقبة ولكنه يتبنى نهجاً إصلاحيّاً المسلمين الصينيين لتخليهم عن هذا التقليد[٧٢].

وواصل المسؤولون الصينيون خلال القرن الواحد والعشرين مراوغتهم عند الحديث عن موضوع الشريعة الإسلامية. وعلى الرغم من أن الحكومة لم تعترف بقانونية المؤسسات الإسلامية، إلا أنها أتاحت لها بعض المجال للعمل في نينغشيا. وقد استجاب بنك نينغشيا المملوك للدولة، على سبيل المثال، لمطالب الهوي وبدأ في تأسيس ذراعٍ ماليةٍ إسلامية في أواخر الألفينيات ببعض الدعم والاستثمار الحكومي[٧٣]. وسلَّط الإعلامُ التابع للدولة في الصين الضوءَ لفترة وجيزة خلال عام ٢٠١٦ على ترتيب مبدئي يقضي باستخدام الشريعة الإسلامية في تسوية الخلافات بين المسلمين في نينغشيا. ووفقاً لهذه السياسة الجديدة يستطيع المسلمون بالمنطقة الاستعانةَ بوساطة شيخ بمسجدهم قبلَ اللجوءِ إلى النظام القضائي الصيني العلماني. وقد تحولَ هذا التنازلُ البسيط لمصلحة الشريعة الإسلامية إلى قصةٍ صحفية بارزة تناولتها الدعاية الصينية الموجهةُ للأجانب،

(٧١) البيلي، «أول تحقيق مصري عن الصين الشعبية!».

(٧٢) الجمال، العملاق الأصفر، ٧٢. وذكر صحفي فرنسي بالقاهرة أن الباقوري أثنى على المسلمين الصينيين لوعيهم بأن القرآن لم يسمح بالتعدد؛ انظر: جان لاكوتور، مصر في مرحلة التحول، ترجمة فرانسيس سكارف (لندن: ميثوين، ١٩٥٨)، ٢٢٩.

(73) Matthew Erie, "Sharia, Charity, and Minjian Autonomy in Muslim China: Gift Giving in a Plural World," American Ethnologist 43 (2016).

ويظهر ذلك في ادعاءاتِ صحيفة الشعب اليومية الرسمية الناطقة باللغة العربية: «يهتم مسلمو قومية هوي بتطبيق الشريعةِ الإسلامية في كل نواحي حياتهم»(٧٤). وتعكس التغطيةُ الإعلاميةُ المبالِغةُ للفرصةِ الضئيلة التي حظيت بها الشريعةُ في نينغشيا حاجةَ الحكومة الصينية المستمرة لإقناع المسلمين الأجانب بأن نُظَراءهم الصينيين لا يزالون متَّصلين بالتقاليد الإسلامية.

ولم تضع بكين وحدَها الروايةَ الرسمية عن الإسلام في الصين، فقد أسهم البيروقراطيّون المحليون، والمديرون الجامعيون، وقادةُ الأعمال التجارية، والمواطنون العاديون في تعزيز هذه الرواية. ولكن الجدير بالذكر أن الحكومةَ الصينيةَ كانت ترغب في مَنحِ قومية هوي في نينغشيا وضعاً خاصّاً. ولم يكن لشينجيانغ أو قومية الأويغور أيُّ صلةٍ بالمسألة، وكذلك مجتمعات الهوي التي تعيش في أجزاء أخرى من الصين لأن الروايةَ الرسميةَ لا تسمح بأيِّ مجالٍ للتعددية داخلَ قومية هوي. وحتى بينما اعتمد تواصُلُ الصين مع الأجانب على فكرة أن المجتمعَ الصينيَّ مجتمعٌ متعددُ الثقافات، كانت الحكومة تحدُّ بشكلٍ كبيرٍ من إمكانية تفاعل الزوار الأجانب مع مكونات هذا المجتمعِ.

ما بعد القمع:

عندما بدأت الحكومةُ الصينية في قمعِ أيِّ تعبيرٍ عن المظاهر الإسلامية في ربيع عام ٢٠١٨، فكَّكت بعجالة كلَّ البنية التحتية التي كانت قد وُضِعت لاستضافة الزوار من الشرق الأوسط. وكانت إستراتيجيةُ بكين السابقة في الحوار قائمةً بالكامل على مبدأ أنه يمكن الوثوقُ بقوميةِ هوي ليكونوا واجهةَ الإسلام الصيني، ولكن في الوقت الحاليِّ تطبق سياسة «تصيين» الإسلام على كلِّ القوميات المسلمة. وقد أدى هذا التوجهُ الجديدُ إلى إحداثِ تغييرات معمارية في مدينة نينغشيا. فأزيلت لافتاتُ الشوارع التي تحتوي على عبارات عربية بعد سنوات قليلة من وضعها. وأمر المسؤولون المحليون مالكي المطاعم بإزالة الملصَقات التي تعلن عن توفيرِ المطاعم للطعام الحلال بالحروف العربية، وأمروهم بوضعِ شعارات صممتها الحكومةُ تتضمن الترجمةَ الصينيةَ لكلمة مسلمٍ.

---

(٧٤) «ثقافة المائدة عند قومية هوي المسلمة»، صحيفة الشعب اليومية أونلاين، ٥ مايو ٢٠١٥، http://arabic.people.com.cn/n/2015/0505/c31657-8887358.html.

وأصدر المعماريون قواعدَ إرشاديةً تتضمن كيفيةَ تغيير القباب المشيدة على الطراز الشرق أوسطي لتصبح أقربَ شبهاً بالمعابد الصينية التقليدية. وأخبر أحد داعمي «حديقة الهوي الثقافية»، الذي ساعد في بناء واحدةٍ من أبرزِ وجهات الرحلات السياحية الرسمية، صحفيّاً بهونغ كونغ دون أن يُفصِحَ عن هويته أن الحكومةَ الصينية ضغطت عليهم لتغييرِ مظهر الحديقة ليكون أقلَّ شبهاً بالطراز الشرق أوسطي[٧٥].

وقد وضعت هذه التغييراتُ نهايةً لإستراتيجية الصين القديمة التي تعود إلى خمسينيات القرنِ العشرين والتي تسعى لإقناع الزائرين العربِ بأن المسلمين الصينيين مُلمُّون باللغة العربية وثقافة الشرق الأوسط. وكان السببُ الرئيسُ لإدراج مدينة ينتشوان ببرامج الرحلات الأساسية هو منحَ الزائرين بعض الشعور بالأُلفة، ولكن فقدت المدينةُ وضعَها الخاصَّ مع استمرار تعرضها للتغييرات المعماريةِ. وسيكون على الحكومة الصينية إذا أرادت تسليطَ الضوءِ على صلات الصين بالشرق الأوسط الاعتمادُ على غير المسلمين الذين درسوا اللغةَ العربيةَ بأرقى جامعات البلاد في بكين وشنغهاي. وتستهدفُ هذه البرامجُ الدراسية، التي شهدت توسعاً في الأعوام الأخيرة، طلابَ الهان بشكلٍ عامٍّ، ولا تكون العربيةُ في الغالب هي الخيارَ الأولَ لهم. فقد ذكر العديدُ من دارسي اللغةِ العربية بجامعة بكين، على سبيل المثال، أنهم اختاروا دراسةَ اللغات الحديثةِ، ولكنَّ أداءهم في اختبارات القَبول بالجامعة لم يسمح لهم بالحصولِ على خيارهم المفضَّلِ وهو دراسةُ اللغة الإنجليزية أو غيرها من لغات غرب أوروبا[٧٦]. وتثق الحكومةُ الصينية حاليّاً في هؤلاء الطلاب والخريجين الأكبر منهم عمراً ليكونوا وجهاً عامّاً لها ويكونوا في طليعةِ تواصلها مع العربِ بدلاً من هوي نينغشيا المسلمين الذين لعبوا هذا الدورَ المحوريَّ حتى وقت قريب.

ورافق حملةَ التحويل الشرسة التي تتعرض لها المساحات العامة الإسلامية في الصين تسليطُ الدعاية الصينية الضوءَ على مدينة نشوان. وبينما تدمِّرُ الحكومةُ المساجدَ المبنيةَ على الطراز الشرق أوسطي أو تجددها، تُذكّر المساجد المصممة وفقاً للتقاليد

(75) Nectar Gan, "How China Is Trying to Impose Islam with Chinese Characteristics in the Hui Muslim Heartland," South China Morning Post, May 14, 2018.

(٧٦) محادثات شخصية بجامعة بكين، يوليو ٢٠١٨.

الصينية بوصفها رمزاً لحملة تصيينِ الإسلامِ. ونتيجةً لذلك لا يزال مسجد نجياهو، أكبرُ وأقدمُ مسجدٍ على الطراز الصيني في نينغشيا، يحظى بالتقدير. وفي ديسمبر من عام ٢٠١٨ وضَعت الحكومةُ الصينية المسجدَ على قائمة تضمُّ ١٥ موقعاً دينيّاً (بوذيّاً، وطاويّاً، ومسيحيّاً، وإسلاميّاً) يمثلون الدينَ وقد تشبع «بخصائص صينية»[٧٧]. ومسجد نجياهو ليس المسجدَ الوحيد بالقائمة ولكنه الوحيدُ الكائنُ بمنقطة تُعد في الظاهر موطناً لقومية مسلمة. واليوم لن يجد المسافرون العربُ القليلون إلى ينتشوان إلا وجهةً إسلاميةً بارزة واحدةً هي مسجد نجياهو.

ومن أمثلة التغيير الذي حلَّ بالإستراتيجية الصينية انعقادُ منتدى التعاون الصيني العربي في بكين بدلاً من ينتشوان في يوليو ٢٠١٨. ومع ذلك، فقد أُخِذ بعضُ الصحفيين العرب الذين يغطون المؤتمرَ إلى ينتشوان، ونشرت صحيفتان عربيتان على الأقل – واحدةٌ من مصرَ والأخرى من الإمارات العربية المتحدة – مقالاً حول المدينة[٧٨]. وفي كلا المقالين لم يحظ أيُّ معلَمٍ إسلاميٍّ بالذكر إلا مسجد نجياهو (على الرغم من أن أحدَ المقالين أشار إلى المسجد باسم نانغوان وهم اسمُ مسجدٍ مختلف موجود في ينتشوان). وبينما احتفى المقالان باهتمامِ سكانِ ينتشوان المزعوم بتعلم اللغة الغربية، يبدو أنه لا يُسمَح لإمام المسجد حاليّاً إلا بالتحدث باللغة الصينية مع الزوار.

ومع انتشار أخبارِ احتجازِ الصين لما يصل إلى مليون أويغوري كان من الحتمي أن تطغى أخبارُ شينجيانغ على نينغشيا. ووجدت الحكومةُ الصينية أنها لن تتمكنَ من مواصلة إرسال المسلمين الأجانب إلى ينتشوان والتهوين من شأن الأخبار القادمة من الغرب. وبالتالي بدأت الحكومةُ الصينية، ربما على مضضٍ، بإرسال الوفود الأجنبية إلى شينجيانغ لزيارة معسكراتِ إعادة التعليم. ويبدو أن هدفَها لم يكن الانتصارَ على المسلمين المتشككين ولكن أن تحظى بإعجاب حكومات الدول السلطويةِ الأخرى. فقد احتفى الإعلامُ الصيني التابع للدولة على سبيل المثال بزيارة دبلوماسيين من ثماني دولٍ هي روسيا البيضاء، وكامبوديا، وكوبا، ومصر، وباكستان، وروسيا، والسنغال،

(77) Liu Xin, "Chinese-Style Religious Sites Lauded as Examples of Sinicization of Beliefs," Global Times, December 18, 2018.

(٧٨) عمر الأحمد، « شينجيانغ تجربة صينية في سن المستحيل»، الاتحاد، ٢٢ يوليو ٢٠١٨؛ هشام مبارك، « شينجيانغ... تنين صيني على الطريقة الإسلامية»، أخبار اليوم، ٢٧ يوليو ٢٠١٨.

وفنزويلا إلى شينجيانغ في فبراير ٢٠١٩. وقد تحدث الزوارُ مع «المتدربين بمراكز التعليم والتدريب المهني» (لغة أورويلية تصفُ السجناءَ بمراكز الاحتجاز)، وزاروا معرضاً للصور الفوتوغرافية يظهر هجَماتٍ إرهابيةً مزعومة على مدنيين صينيين[٧٩]. وفي هذه الحالة كانت مصرُ تُعدُّ حليفاً قيماً للصين لأنها دولةٌ إسلاميةٌ تستخدم حكومتُها مصطلحَ «الإرهاب» في تبرير قمع خصومِها، ومن ثَم كان الدبلوماسيون المصريون بالذات على استعداد لقَبول ادعاءات الحكومة الصينية ورفضِ أيِّ نوع من التدخل الأجنبي في شؤون الصين الداخلية. ويبدو أن الدبلوماسيين المصريين لا يحظون في المهامِّ المشابهة لهذه المهمة بجولاتٍ مختلفة عن الجولات المخصصة لغير المسلمين.

ولفكرة أخذِ الأجانب في جولات بالسجون تاريخٌ طويلٌ في الصين. وتضرب هذه الإستراتيجية بجذورها في الاتحاد السوفييتي الذي كان محطّاً لانتقادات مستمرةٍ بسبب معسكراتِ الاعتقال الموجودة في سيبريا، وقد اضطره ذلك إلى تخصيصِ معتقلات نموذجية تتوفر بها معاييرُ إنسانيةٌ جيدةٌ لعرضها على الزوارِ الأجانب[٨٠]. وحظي برنامجُ «إعادة التعليم من خلال العمل» الصيني المثير للجدل باهتمامٍ عالمي لا يستثنى منه الشرقُ الأوسطُ، ولذا كان أمراً اعتياديّاً للزوار العرب أن يذهبوا في جولاتٍ إلى معتقلاتٍ نموذجية في الصين[٨١]. ومع الانتقادات التي تواجهها الصُين نتيجةً لسياسات الاعتقال في شينجيانغ، التي لا تزال تصرُّ على وصفها بجهود «إعادة التعليم» أحيت بكين هذه الإستراتيجية. فدعا المسؤولون الصينيون صحفيين مختارين من دولٍ إسلاميةٍ مرنةٍ وأرسلوهم إلى المعسكرات النموذجية في العديد من مدن شينجيانغ، بما فيها كاشغر وهوتان. وبينما تعدُّ فكرةُ أخذ الزوار الأجانب إلى هذه المنطقة في غرب البلاد فكرةً جديدةً، فمن المثير للاهتمام أن المبدأَ الرئيسَ لتواصل الصين مع الأجانب لم يتغير حتى في ظلِّ الظروف التي تشهد قدراً كبيراً من القمعِ والحساسية في العلاقات الخارجية. وكسابق عهدهم، يسعى المسؤولون الصينيون إلى إقناع ضيوفهم بأن الصينَ بلدٌ موحدٌ متعددُ العرقيات وأن الحكومةَ الصينية تضع مصالحَ سكانها المسلمين نصب أعينها.

(79) "Diplomats from Eight Countries Visit Xinjiang," China Daily, February 27, 2019.

(80) Jeffrey Hardy, "Gulag Tourism: Khrushchev's 'Show' Prisons in the Cold War Context, 1954–59," Russian Review 71 (2012).

(٨١) الأدهمي، الصين الجديدة في ظل الاشتراكية؛ الجمل، العملاق الأصفر؛ عبيد، سوداني في الصين الشعبية.

ومن أمثلة نجاحِ بكين الباهر في الترويج لهذه الفكرة عن الصين حضورُ عددٍ كبير من الصحفيين المصريين خلال شهري يناير وفبراير من عام ٢٠١٩، وكان من بينهم مراسلون من جريدتي الأهرام والجمهورية ومن قناة النيل الإخبارية. وقد ورد في أحد ملخصات الزيارة ما يلي: « من خلال زيارة العديد من مراكز التدريب والتأهيل المهني في خوتان وكاشغر، يمكن القولُ إنها تختلف تماماً عما نشر في تقارير بعض وسائل الإعلام الغربية». وذكر كاتبُ المقال أن الحكومةَ الصينية تحرص على تقديم دورات تدريبية لرجال الدين في شينجيانغ عبر المعاهد الدينية وأنها تتحمل تكاليفَ السفر والإقامة داخل الصين (دون ذكر أن الدولة تتحكم في هذه المعاهد) ومدح الدستور الصيني الذي يكفل الحرية الدينية. وزعم أن الصين « نجحت في تحقيق التعايُشِ السلمي بين أبناء مختلف القوميات والديانات بها»[٨٢]. وأوردت الآلةُ الإعلامية الصينية العالمية كلاماً مشابهاً تحت صورة تجمع صحفيّاً بجريدة الجمهورية وطفل من الأويغور. وذكرت كلامَ المراسل: «الأحوال هنا جيدةٌ للغاية، أشعر أن المسلمين هنا يتمتعون بالحرية الدينية بشكلٍ كاملٍ»[٨٣].

وعلى الرغم من التغيير الجذري في موقف الصينِ من الإسلامِ، لم تتغير طريقةُ تواصلِ الصين مع العالم الإسلامي. ولا تزال بكين تحاول إثباتَ أن الحزبَ الشيوعيَّ الصيني قد جلب الاستقرارَ، والتطوير، والانسجام لمواطنيها المسلمين، ولا تزال حريصةً على توظيف مسلمين صينيين موثوق بهم لإثباتِ وجهةِ نظرها. وبدأت الحكومةُ الصينية التهوينَ من شأن الروابط التي تجمع مسلمي الصين بالشرق الأوسط، وهي التي تكبدت الكثيرَ من العناء للتأكيد على هذه الروابط خلال خمسينيات القرنِ العشرين وبَدءا من عام ٢٠١٠، ولكنها لا تزال تحاولُ نَيلَ الاستحسانِ من خلال تقديم الإسلام بوصفه أحدَ مكونات الصين المحلية. ويدرك قادةُ الصين حاليّاً، كما فعلوا في الماضي، أنه لا يمكنهم الدخولُ في عَلاقةٍ بنّاءة مع الدول الإسلامية دون تبديد المخاوف المتعلقة بمعاملتها لسكانها المسلمين. ويبقى تواصلُ الصين مع العالم الإسلامي، الممتدُّ سبعين عاماً، جزءاً مهمّاً من السياسة الخارجية للبلاد.

---

(٨٢) عادل علي، «في شينجيانغ الصينية.. مكافحة الإرهاب ومحاربة الفقر وتحقيق الاستقرار والتنمية»، الأهرام، ٢٧ فبراير، ٢٠١٩.

(83) "Egyptian Media Note Xinjiang's Stability," China Daily, February 2, 2019.

هل يمكن أن تُكلَّلَ جهودُ الصين في التواصل مع العربِ بالنجاح؟

يستحيلُ إجراءُ تقييمٍ منهجي لمدى فعالية الجولات الدعائية الصينية في تغيير الموقفِ العامِّ من الصين في العالم العربي. فعددُ الأفراد القادرين على المشاركة في هذه الجولات قليلٌ نسبيّاً، ويستطيع العربُ العاديون تكوينَ رأيٍ عن الصين وفقاً لعوامل كثيرة لا يمكن لبكين التحكمُ فيها. ولكن لا شكَّ أنه بإحضار عرب مؤثرين إلى الصين، ويشمل ذلك العديدَ من الصحفيين، تستطيع الحكومةُ الصينية أن تضمنَ تدفقاً مستمرّاً للمقالات التي تصور الصين بشكل إيجابي في الإعلام العربي. وقد أثبتت الحكومةُ الصينية كفاءةً لافتة في توجيه الانتباه إلى أماكنَ وأحداثٍ اختارتها بعناية. وينبغي النظرُ إلى فعالية هذا النهج باعتباره نصراً دعائيّاً كبيراً للصين؛ لأنها تتمكنُ من تشتيت الانتباه العالمي عن الصراعِ الديني والإثني في شينجيانغ. بيد أن التأثيرَ الأكثر استمراريةً لإستراتيجية التواصل الصينية مع الخارج قد يكون نجاحَها في فرض الإطار الذي يُناقَش من خلاله الإسلامُ الصيني في الشرق الأوسط. وبينما يتبنَّى المفكرون الأجانب مبادئَ نموذج «المينزو» ويرددون التأكيداتِ الصينيةَ حول تاريخ وجغرافيا الإسلام الصيني، تحظى السياساتُ الصينية تجاه الأقلياتِ بالشرعية داخلَ البلاد وخارجها.

ومع ذلك، فإن قدرةَ الصين على التحكم في مفرداتِ الحوار العالمي محدودةٌ. وببحثٍ بسيط على تويتر عن كلمة « شينجيانغ» بالعربية تظهر المشكلةُ. إذ تهيمن على النتائج المقالاتُ الإخبارية التي كتبها صحفيون عربٌ متعاطفون مع الصين، والتي ضخمتها الشبكاتُ الإعلاميةُ الصينية الناطقة بالعربية، وهو ما يشير إلى أن بكين تفرضُ شروطَ الخطاب بفعالية. ولكن هناك حواراً آخر موازياً دائراً باللغة العربية، أكثرَ حسماً بكثير في لهجته، ويشير أصحابُه إلى المنطقة الشمالية الغربية من الصين باسم «تركستان الشرقية». ونتيجةً لعدم استخدام المسؤولين الصينيين لهذا المصطلح، فإن الدعاية الصينية لا يمكنها التأثيرُ بشكلٍ مباشر على هذا الحوار. ولذا هناك انفصالٌ بين الخطابات التي تتناول موضوعَ الإسلام في الصين، وتميل بكين إلى تفضيلِ الحوار مع الأطراف المتعاطفة مع موقفها بالفعل.

ومن حُسنِ حظِّ الصين أن المزيدَ والمزيد من المعلقين العرب فيما يبدو ينظرون إلى المجتمع الصيني بوصفه مجتمعاً مستقرّاً ومنظماً تنظر إليه الدولُ العربيةُ كمثالٍ

يُحتَذى. وفي بعض الحالات يعبرُ الزائرون العربُ صراحةً عن أن المثالَ الصينيَّ يمكنُ تطبيقُه في الشرق الأوسط. وجاءت أصرحُ الدعوات لتقليدِ الصين من صحفيٍّ يمنيٍّ ذهب في جولة إلى ينتشوان. وقد استمع إلى خطبة من إمام مسجد نجياهو حول الدين في الصين، ومدح الحكومةَ الصينيةَ على تقديم الخدمات لمواطنيها المسلمين وأشاد بـروح «الحبِّ والتفاهم والوئام» التي تسودُ بين أفراد الإثنيات المختلفة الذين «يجمعهم رابط الوطن». وذكر مدركاً للانقسامات التي يعاني منها وطنُه: «لو جُسِّد ذلك في اليمن والعالم العربي لاختفت المشاكلُ والصراعات وتقدمت كلُّ المجتمعات العربية»[٨٤]. وفي فترة تفرض القوميةُ الاستبداديةُ هيمنتَها حول العالم، تُظهِر تعليقات كهذه الريادةَ الأيديولوجية التي تسعى الصين لتحقيقها. ويرى الزوارُ العرب الذين يطوفون ببكين، ونينغشيا، وشينجيانغ، وغيرها نسخةً صينيةً جرى تعديلُها بدقة لتعزيز هذا الهدفِ. ويعودون إلى أوطانهم في الكثير من الأحيان وهم على استعدادٍ لنشرِ ما رأوه بالطريقة التي أرادها مضيفُهم بالضبط.

(٨٤) الخيل، « نينغشيا .. سلة الصين الغذائية ومدينة التنوع الثقافي .. ونقطة البداية لطريق الحرير الجديد !».

نبذة عن المؤلف

كايل حداد فوندا، هو زميل في قسم اتخاذ القرارات الخارجية الكبرى. كما يدرّس مادة التاريخ في جامعة واشنطن. حاصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الشرقية من جامعة أكسفورد، حيث كان باحثًا في برنامج رودس. نشرت كتاباته حول علاقات الصين بالشرق الأوسط في صحف مثل ChinaFile و ForeignPolicy و World Politics Review. من المتوقع أن ينشر كتابه الأول بعنوان: تاريخ تفاعل الصين مع مصر والجزائر خلال الخمسينيات والستينيات، في عام ٢٠٢٠.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسّس المركز سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م لمواصلة الرسالة النبيلة للملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. ويعدُّ المركز منصةَ بحثٍ تجمع بين الباحثين والمؤسسات لحفظ العمل العلمي ونشره وإنتاجه، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، وبناء جسرٍ للتواصل شرقاً وغرباً. ويرأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام هو الدكتور سعود بن صالح السرحان.

ويقدّم المركز تحليلات متعمّقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والاقتصاد السياسي، والدراسات الأمنية، والدراسات السعودية، ودراسات شمال إفريقيا والمغرب العربي، والدراسات الآسيوية. ويتعاون المركز مع مؤسسات البحث العلمي المرموقة في مختلف دول العالم، ويضمّ نخبةً من الباحثين المتميّزين، وله علاقة واسعة مع عددٍ من الباحثين المتخصّصين في مختلف المجالات البحثية. ويحتضن المركز مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل التذكارية، وبرنامج الباحثين الزائرين. ويهدف المركز إلى توسيع نطاق المؤلَّفات والبحوث الحالية لتقديمها إلى صدارة المناقشات والاهتمامات العلمية، متّبعاً مساهمة المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون والآداب قديماً وحديثاً.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ (١١ ٩٦٦+) تحويلة: ٨٦٩٢ فاكس: ٤٥٧٧٦١١ (١١ ٩٦٦+)
بريد إلكتروني: research@kfcris.com